WHINE

رواية

أُنيس

https://t.me/art_of_book

نورة السعيدي

الطبعة الثانية

2024م

@ART_OF_BOOK

مقدمة أنين

هناك تاريخ ميلاد البطلة داخل الرواية

ولكن هذا هو تاريخ ميلاد قلمي عندما خط قصته الأولى على الورق لقد مرت سنوات من 2019 الي الآن وانا انشرها في هذا العام المبارك

لا تعلمون كم هدمت وأسست من جديد هيكلة روايتي أضفت أبطال وقصة

ورجعت وحذفتها راجعت آلاف المرات ولم أجد سوا الفنتازيا لكي تنقذ ما بداخلنا من هروب

إذا كانت العائلة سليمه فالعودة لها محتومة

ولكن إذا كانت عائله مسمومة مغلفه بالمناصب

فيجب الهروب والابتعاد عنها وما بني على باطل سينهار هو وباطله سوا.. قصتي ترينا طهر وخبث وأشياء نجهلها حتى ولو بعد مئات السنين

https://t.me/art_of_book

الجميع كان يظن أن الشر أتى بعد قتل قابيل لأخيهِ هابيل، ولكن أنت مخطئ أيها القارئ الجميل؛ فالشر بدأ بعد أن كره الشيطان آدم وزوجه، ولم يتقبل فكرة وجودهما بمكان واحد؛ فوسوس لهما بالأكل من الشجرة المحرمة، أخرجهما من النعيم، الشر ليس لهُ نهاية!

ولكن لهُ بداية، فإن انطلقت الشرارة الأولى أحرقت الشخص المسيء قبل المُساء إليه.

الكاتبة: نورة السعيدي.

https://t.me/art_of_book

https://t.me/art_of_book

الفصل الأول

https://t.me/art_of_book

https://t.me/art_of_book

في ليالي الشتاء الباردة حيثُ الظلام حالك بعد انْقطاع الكهرباء؛ بسبب سوء الأجواء، وهطول الأمطار الغزيرة، تأخذ وضع القرفصاء فوق سريرها؛ لتستجمع نفسها، وصوت صَرير النوافذ تَعصف بهِ الرياح البارِدة، تُغمض عيناها بشدة وتتذكر كَابُوسها المزمن، وتسمع صُراخ طفلة، وتُغطي أُذُناها بِكِلتا يَديْها.

يَدان ضخمتان تَحمِلاها مُسرعة مبتعدة عن الأنظار، تضرِب على رأسها عدة مرات تُريد محو المشهد المزعج الذي يُؤرقها مذ سنوات، تتمنى أنْ يَنبثق الصباح أو تدخل في نومٍ عميق؛ لكي ترتاح.

***

على شاطئ البحر المُتوسط حيثُ الرِّمال الذهبية، والأمواج تَتلاطم

وكأنها فتاة ترتدي فُستانًا أزرقًا

متنفشًا، أطرافُه البيضاء مُكرنشَة،

وهي تَتراقص على ضِفاف البحر، الشمسُ ساطعة، تنثر أشعتها الذهبية بكل دِفء، الصيادون يُجهزون قوارب صيدهم وشِباكهم؛ ليدخلوا البحر راجين الله في طلبِ الرزق وبيع الأسماك بعد جَمعها.

العم عبد القوي وهو رجل بالخمسين من عُمره لديه خبرة، وباعٍ طويل بالصيد، ورثَ من والده قارب صغير كان قد اشتراه بعد جمع المال هو وزجته؛ لكي يَحيُوا حياة كريمة لهم ولأبنائهم.

حافظ عبد القوي على إرثه، وجعل أحد أبنائه يساعده، وبقية أولاده يتعلمون بالمدارس، صابر أكبر أبنائه، ويعمل مع والده، شغوفٌ بحب البحر، ويكتشف أماكن جديدة للصيد، وهو متعجب من وجودِ بقعة بمنتصف البحر، ينهرهُ والده من دخولها، فهو يحذرهُ دائمًا:

- لا تصطاد هنا يا بني.. فهذه المنطقة غير آمنة.. الكثير دخل هنا ولم يخرج سالمًا.

بتعجب يسأله ابنه:

- لماذا يا والدي لا نذهب للاصطياد من ذاك المكان الذي دائما تُحذرنا من دخوله؟!

أجابه الأب:

- والدي كان يقص علينا القصص.. المكان يَسكنه جن وشياطين البحر تخدمهم حورية.

- ما رأيك بأن ندخل يا والدي ونجرب؟!.. رُبما كل هذا الكلام كذبٌ وخُرافات!.. هل رأيتَ أو فقدتَ أحدًا بعد سماع هذه القصة؟

بحذر يتقدم الأب ويقول:

- سنقترب قليلاً من المكان.. لا نستطيع الدخول.. نخافُ يا ولدي أن نخسر القارب ونغرق.

يُبحر مع والده بكل حماس؛ ليرى ما هو الخطر الذي يخافه الصيادون!.. وعندما اقتربوا؛ شاهدا قاربًا فيه امرأة عجوز ومعها سائق القارب الذي استاجرته؛ لكي يوصلها للبقعة المزعومة وسط المحيط، قرب صخرة كبيرة تتحاور ولا يرى من تُحاوره المرأة، تَرمي بأشياء داخل البحر وتَتلو طلاسم شَيطانية غريبة، فجأة يتغير لون البحر ويَميل للسواد، ويَنقشع اللون بسرعة وتعود للبحر زرقته.

سأل عبد القوي سائق القارب قائلًا:

- ما الذي تفعلهُ يا ولدي أنت وهذه المرأة؟

أجابهُ السائق:

أنا أتيتُ مع أم السعالف أوصلها.. هي ساحرة.

أم السعالف تَرمُق السائق بنظرة تخيفه؛ فيعدل من جملته ويقول:

- أقصد أنها مُعالجة وتعالج الناس بأدوية تأخذها من البحر.

عبد القوي يتمتم بداخله:

- واللهِ إنها ساحرة من شكلها وأفعالها.

ثم سلم على صاحب القارب وودعه، ثم نظر لابنه وقال:

- هل تُريد الصيد بهذه البقعة؟

- لا يا والدي.. دعنا نذهب لمكان نظيف فهذه العجوز وأمثالها لوثوا البحار والعياذ بالله.

شَرَع عبد القوي يُغير اتجاه قاربه

يبتعد.

https://t.me/art_of_book

https://t.me/art_of_book

الفصل الثاني

@ART_OF_BOOK

في صَباح يوم الاثنين 18/6/2019 تستيقظ سلمى وزوجها مالك؛ لأداء صلاة الفجر، والخادمة زمردة تُجهز طعام الإفطار للعائلة، ها هي تطوفُ الغرف، وتطرق الأبواب؛ لكي يستقيظوا.

- خالد.. صالح.. وليد.. والدكم ينتظركم في الخارج لأداء الصلاة.

خالد بتثاقل كعادتهِ:

- حسناً استيقظت.. سآتي في الحال.

صالح بضجر: ماذا حل بكِ؟.. ألا يستطيع أحد أن ينام بالمنزل؟

وليد يصرخ معلنًا: مستيقظ.. مستيقظ لم أنم.

ليلى وهي تُغمغم ببعض الكلمات:

- اذهبي استيقظتُ يا زمردة.. وكالعادة لم أنم جيدًا بسبب الكابوس المزعج.

- يا ابنتي إنها أضغاثُ أحلام.

- في كل مرة أشاهد حديقة وتجلس بها امرأة جميلة وزوجها يُطعمان طفلة صغيرة بسعادة، وعندما تذهب للعب بالكرة مع الأطفال؛ تأتي

https://t.me/art_of_book

امرأة غريبة يلفُها السواد وتحملها وتهرب، ومن سرعة ركضها اختنقت بالهواء

وأغمضت عيناها، وأستيقظ وأنا أسمع صُراخ الرجل والمرأة وهي تصم أذناها؛ من شدة تخيلها.

- لا تكترثي له فهو مجرد حلم.. تعالي.. اقتربي..

- ماذا هناك يا زمردة؟

تفتح ذراعيها تقبلها:

- كل عامٍ وليلى بألف خير.

تقفز ليلى بفرح:

- اليوم هو ميلادي؟!

تقولها وهي فرحة وتحتضن زمردة وتنهال عليها بالقبل.

- كم أنتِ رائعة!.. تتذكرين ميلادي وتُذكريني به.

قالت زمردة وهي تمسح على شعر ليلى:

- إنك مثل ابنتي وربيبتُك وأنتِ صغيرة.. يا لكِ من جميلة يا صغيرتي.

https://t.me/art_of_book

الجميع يَجتمع على طاولة الطعام وهُم يتناولون إفطارهم، ليلى تنظر إلى ولوالديها وتبتسم.

مالك: ماذا بكِ يا ابنتي؟

الأم: عيد ميلادها اليوم وهي فرحة كما أنها تريد الهدايا والحفلة مع أصدقائها.

خالد: كل عامٍ وأختي الوحيدة بخير.

ليلى: وأنت بخير يا أخي الكبير وحبيب قلبي.. كلما كبر تكبر هديتُه.

قالتها ليلى باسمة.

صالح: كل عامٍ وأختي ليلى بخير.

ليلى: وأنتَ بخير.. ولا تنسى.

وليد: أنا أخوكِ الصغير هديتُك ستكون صغيرة.

قالها مازحًا.

ليلى: الأهم أن تتذكر وتُحضرها.

ريم: كل عامٍ وأنتِ بخير.. اليوم تُميز ونحن نحتفل بصغيرتنا بيننا.

ليل: وأنتِ بخير يا أجمل زوجة أخ.. اتفقي مع صالح واجليا هدية كبيرة.

تَفرق الجميع بعد طعامهم، وذهب كل شخص لعمله، وبدأت الأم تجهز لحفلة ابنتها التي كانت تدللها كثيرا؛ كونها الابنة الوحيدة بين الأولاد.

عند ذهاب ليل إلى جامعتها كانت تُرسل بطاقات دعوة قد صممتها على جهازها المحمول لأصدقائها، وتُعلمهم بوقت حفلتها بالمساء.

***

البيت على قدمٍ وساق، الكل مشغول بتحضير هدية تَليق بفتاة الميلاد، أما هي فكانت تتزين بفستانها الأحمر، وتُسدل خصلات شعرها الطويل؛

مما زادها جمالاً.

حل المساء وبدأت مراسم احتفال ليلى، وضع على الكيكة 22 وهو عامها الجديد الذي تستقبله بكل حب وسعادة، وهل سيكون سعيد كما نظن؟!.. يتوافد الأصدقاء والصديقات.. الأم تستقبل الضيوف، وتُرحب بهم في غيابِ الأب الذي تأخر؛ لظروف عمله ومنصبه

المَرمُوق، فهو يمثل المملكة العربية السعودية، وقد كان مالك مثال للوطنية وخير من يمثل دولته، منذ 28 عاما يعمل بجد وإخلاص.

الجميع يرقص ويُغني، الاحتفال رائع، والحديقة صُممت بشكل جميل جدًا، وقبل إطفاء الشموع يحضر الأب وعلى وجهه آثار التعب والإرهاق؛ فقد كان يومه صعبًا جدًا.

سلمى تهمس لهُ:

- ما الذي أخرك يا مالك؟!.. ليس من عاداتك أن تتاخر!

يأخذ نفسًا عميقًا مُثقل بالهموم:

- مشاكل بالعمل أحاول حلها.. وأتيت؛ لأنني لا أريد أن تحزن ليلى لغيابي.

سلمى مشيرة لابنتها:

- انظر ليلى سعيدة ولم تشعر بغيابك.. إنها ترقص وتغني مع أصدقائها.

مالك محاولاً النهوض:

- سَأُسَلم عليها وأُقدم هديتها وسأصعد؛ لأرتاح.

يشير لزمردة من بعيد بأن تأتي بليلى،

زمردة مُقتربة منها قائلة:

- ليلى.. ليلى.. والدك يريدك.

تشير بيدها لكي تنتظرها:

- ثوانٍ وسآتي.

الأب وهو يطبع قُبلة بين عيني ابنته:

- كل عامٍ وصغيرتي بخير.

قالت ليلى وهي تضمهُ وتشتم حُنُوّ قلبه:

- وأنتَ بخير يا أبتي.. أنا لستُ صغيرة أكملت اثنان وعشرون عامًا.

- حسنا سأزوجك فقد كبرتي.

- لا أفكر يا والدي بالزواج سأنهي جامعتي أولاً.. أم تريد التخلص مني على عجل؟!

يضمها لصدره قائلًا:

- حفظك الله يا ابنتي.. مازلت بنظري تلك الطفلة.

- أنتَ أجمل هدية يا والدي.

قال ضاحكًا:

- حسناً سآخذُ هديتي فأنا أجمل منها. ويضع الهدية خلف ظهره وهو يضحك، أحس مالك بزوال تعبه وهمومه وهو يُداعب ابنته وكأنهُ ملك العالم بيديه.

قفزت ليلى خلف ظهر والدها والتقطت هديتها قائلة:

- وهديتُك أجمل هدية.

طبعت قبلتها على خد والدها وذهبت؛ لتكمل احتفالها.

صَعد الأب؛ ليذهب إلى غرفته وينام.

سلمى تهمس بأذن خادمتها:

- زمردة اذهبي إلى ليلى ودعيها تطفىء الشموع فالوقت قد تأخر سنقدم العشاء للضيوف.

https://t.me/art_of_book

تهز زمردة رأسها في أدب:

- حاضر أمرك.

ذهبت زمردة إلى ليلى وقالت لها:

- ليلى.. سيدتي سلمى تدعوك لتطفئي الشموع.

- حسنًا سنغني أغنية الميلاد؛ لكي يجتمع الجميع حول الطاولة.

بدأت زمردة تدعوهم وتتصاعد أصوات الغناء في حديقة المنزل وتنطفيء الشموع، وهدأ جو الاحتفال وبدأ الجميع بتناول طعام العشاء، والبعض الآخر فضل الرحيل بعد إعطاء ليلى الهدايا،

نغمة العائله
و الاصدقاء وطن باكمله

***

https://t.me/art_of_book

وعلى شاطئ الميناء سفن ذاهبة وأخرى تعود مُحملة بالبضائع والمسافرين، الحركة دَؤُوبة على الميناءِ، هناك شاب مولع بالغناء فهو يتنقل بين مناطق دولته؛ ليغني ويُحيي الحفلات الصاخبه ويدعى عمر، هو شاب في الثالثة والعشرين من عمره، يعشق الآلات الموسيقية، وبحب الشهرة، يصعد السفينة؛ لينتقل لمنطقة مجاورة ليُحيِي حَفله السنوي هو وفرقته الموسيقية، يلتقي بمحبيه على متن السفينة، يطلبون منه الغناء؛ فيلبي طلب جمهوره، فها هم يتجمهرون حوله ويرقصون ويضحكون؛ من سعادتهم بوجود الفنان الذي يحبونه، بشوش وذو أخلاق عالية.

وبعد انتهائه من الغناء شكرهم؛ لتشجعيه، وذهب ركاب السفينة إلى غرفهم.

قدم له كوب من النعاع الدافىء، وهو يشرب كان يتأمل جمال الموج، وهدوء البحر، السماء صافية، والقمر بدرٌ ومُضيء، ونسمات الهواء باردة، وشاهد بعض الدلافين وهي تقفز وتلهو، استغرب وجود جسم غريب يراقبه من أطراف السفينة، وهو يظهر رأسه من الماء ويعود إليه؛ لم يكترث عمر للموضوع، أكمل طريقه إلى غرفته؛ لكي ينام، وعندما دخل غرفته سمع أصواتًا غريبة؛ نظر من النافذة وشاهد فتاة وكأنها تغرق،

https://t.me/art_of_book

ذهب مسرعًا إلى سطح السفينة؛ لكي يرى بوضوح، نعم.. ما شاهدهُ صحيح، إنها فتاة تغرق وتطلب النجدة منه، صرخ لها وهو يرمي الحبال:

- تمسكي بالحبل سوف أسحبه.

ردت وهي تستغيث:

- انقذني.. ساعدني أرجوك.. ساعدني.

- سوف أُساعدك.. والآن تمسكي بالحبال.

رَبط عمر طرف الحبل بعامود السفينة، والطرف الآخر ربطه على خصره، سوف يقفز للبحر؛ لكي يجلب الفتاة، لم تكن تسمع ما يقوله، فقفز عندما سبح عمر نحوها، رابطًا الحبل على خصره وصل لها؛ لكي يربطها معه ويقوم بسحب الحبل والعودة إلى السفينة، ولكن المفاجأة.. أن الفتاه هي من سحبته لقاع المحيط تسحبه بسرعة وهي تضع بفمه شيء؛ ليأكله، وبعدما غص به ابتلعه، إذ به يتنفس بصعوبة داخل الماء وكأنه يفتح له مجرى جديد للتنفس.

ظن عمر أنه هالك لا محالة ولكن تعجب كونه داخل البحر ويرى ويتنفس بسهولة.

من تكون تلك الفتاة؟!.. جال بنظره يمينًا ويسارًا يبحث عنها ولا يجدها، حاول أن يسحب الحبل؛ لكي يعود للسفينة ولكن للأسف.. قطع، يراها من بعيد وهي تعود إليه، ولكن ماذا يرى؟!.. جسمها منقسم لقسمين: رأسها وصدرها وبطنها إنسان، ومن منتصف البطن سمكة!.. تشجع وسألها:

- من أنتِ؟!.. وماذا تريدين مني؟!

- أنا جلفار..

حوريه من حوريات المحيط المتوسط

سأل بتعجب:

- وماذا تريدين مني؟!.. أرجوكِ أعيديني إلى السفينة.

- سمعتُك تغني وأحببت صوتك كثيرًا وأنا وحيدة بهذا الوادي

حتاج من يؤنس وحدتي

- وكيف استطعتِ أن تُبقيني على قيد الحياة؟!

أجابته ببساطة:

- يوجد لدي أعمال شيطانية وتعويذات جمعتها وخلطتها؛ لكي تجعلك مثلي.. تتنفس تحت الماء.

https://t.me/art_of_book

غضب عُمر ثم قال:

- ولكني أريد العودة إلى السفينة لدي

أعمال كثيرة غدًا.

صرخت جلفار بوجهه:

- لن تذهب وستبقى معي للأبد..

وسأصنع تعويذة؛ لكي تجعلك مثل الخيلان.

سأل باستغراب:

- ومن هم الخيلان يا هذه؟!

- هؤلاء الذكور ونحن الحوريات.. هم يتزوجون بنا ولكن التعويذة لا تصنع هنا بل يجب أن أسافر إلى المحيط الهادي فهم لديهم قوة عظمى.

قال عمر بضيق وعدم تصديق:

- هل أنت مجنونة؟!.. أنا لا أريد أن أكون مثلك.. حياتي على الأرض.. ماذا أفعل بقاع المحيط؟!

https://t.me/art_of_book

ردت جلفار بغضب شديد وهي تصرخ في وجهه:

- أنت ملكي.. أنا أراقب رحلاتك المتكررة وأعجبت بصوتك وبروحك المرحة مع الجميع.. انتظرني وسوف أعود إلى المحيط بعدما أحضر التعويذة.. تلك التي ستجعلنا نرتبط ببعضنا البعض.

***

عندما استيقظ مالك في صباح اليوم التالي وجد رسائل وعدة اتصالات من مَقر عمله الذي يخص دولته تُفيده بعدم الحضور، يجري اتصالًا بمدير مكتبه.

مالك بقلق:

- مرحبا حازم.. أخبرني ماذا حصل لديكم؟

رد حازم قائلًا:

- أبو خالد لا تأتي اليوم فقد تعرض البناء لهجوم من مجهولين.

صرخ مالك بصدمة ثم قال:

- هل تأذى أحد من الموظفين؟

- الحمدلله لم يصب أحد.. تضرر المبنى والمكاتب.

قال مالك:

- أريد أن تُهاتفني إذا جد أمر وساعقد اجتماعًا في المنزل.. بلغ الموظفين الساعة التاسعة ليلًا.

- أمرك سيدي.

حزِن مالك جدًا؛ لما حصل، يُتابع الأخبار هو وزوجته في حزنٍ شديد، وكانت زوجته وأبناءه تملأ وُجوههم الدهشة والخوف؛ على والدهم.

قالت سلمى:

- من فعل هذا بممتلكات الدولة؟!.. ولماذا لا يوجد لنا حماية؟

رد بغضب:

- جهاتٌ إرهابية متطرفة تُحارب دولتنا ويحاولون تخويفنا.. ولن يهزوا شعرة من رأسي.

قال خالد:

- لا تذهب يا والدي.. تقدم بطلب إجازة لحين هدوء الأوضاع.

تدخل وليد في الحديث قائلًا:

- لماذا لا نعود لبلدنا ونرتاح من الرعب يا والدي؟!

رد مالك:

- لو أن كل رجل دولة خاف وعاد واختبأ لن ترى مقرات دولته بكل بلد ولن تُصبح الدولة قوية إلا برجالها.. لا تَخافوا دولتنا على حق..

و دائما راية التوحيد هي الكلمه الاولى و العظمى

قال صـــالح: حفظها الله يا والدي.. تعلمنا منك الشجاعه و عدم

العوده للوراء

***

الساعة التاسعة مساءًا يجتمع الموظفون بقصر مالك، تعد لهم سلمى وزمردة قاعة الطعام؛ للاجتماع وتبادل الآراء

وإخبارهم بما يفعلون.

أمرهم مالك بأن يُرسلوا زوجاتهم وأبنائهم إلى السعودية إلى أن تهدأ الأوضاع، وافق الجميع على قرارِ مالك، وأُجريت الاتصالات؛ لكي تتوفر طائرات خاصة ولكن دون جَدوى، حيث لم تكن الطائرات في مأمن؛ فاحتمال تفجيرها من قبل الجماعات الإرهابية وارد جدًا فهم يَترقبون.

ردت بابتسامة حانية:

- حاضر يا سيدتي.. سأحافظ على المنزل وصاحبه.. أرجو ألا تطول رحلتكم بالسعودية.

قالت سلمى مُوصية:

- لا تنسي أعمالي وتجارتي هنا.. لن تطول.. فقط شهرين إلى أن تهدأ الأوضاع ونعود.

ودعت زمردة سيدتها بدموع تكاد تسقط على خديها وهي تقول:

بحفظ الله يا سيدتي.

السيارات في الصباح جاهزة لنقل الأسرة إلى الميناء، العائلة تُودع والدهم وخادمته.

وداع الاحباب مؤلم ... ماذا لو علمنا انه سيتحول الى فراق

وصلوا إلى الميناء، وقدم خالد أوراق سفرهم، وصعدوا على متن السفينة، توزعوا بالغرف.. فكل ابن مع زوجته، وليلى مع أمها، ووليد مع ابن أخيه خالد، أبحرت السفينة وغادرت الميناء، خرج الجميع؛ ليشتموا الهواء ويتأملوا منظر البحر، السماءُ صافية وجوها جميل وهي

تعكس لونها على البحر وزرقته، دخلت الطمأنينة في نفوسهم بعد مشاهدة هذا المنظر، نودي لطعام الغداء، توجهت العائلة إلى المطعم داخل السفينة، تناولوا غدائهم وعادوا؛ ليرتاحوا، وفي المساء ضجرت ليلى وخرجت بهدوء وأمها تغفوا على سريرها، صعدت لسطح السفينة؛ لكي تسمع الموسيقى، التقت بالصدفة صديقَتها بالجامعة رجاء، وهي ابنة لأحد الموظفين، تجاذبت معها أطراف الحديث عما حصل وكيف غير حياتهم!.. وأنهم سيتأخرون في الدراسة، أتى ناصر يبحث عن أخته.

- رجاء.. أين ذهبتِ دون أن تخبري أمي.. فهي تبحث عنك؟

- خرجتُ لكي أغير جو الغرفة الكئيب.. أعرفك على ليلى صديقتي بالجامعة.

ناصر مبتسمًا:

و هل يخفى القمر .. مَن منا لا يعرف ابنة الوزير؟!

ثم مَد يده؛ ليصافحها ويُرحب بها قائلًا:

- كيف حالك؟

https://t.me/art_of_book

ردت ليلى المصافحة بخجل قائلة:

- الحمد لله بخير.

ثم ذهبت وحدها مبتعدة عن صديقتها وأخيها، رأت ليلى شيئاً داخل البحر يلوح لها بيده، وفجأة اختفى، ظنت أنها تتوهم وعادت إلى غرفتها؛ لتأخذ قسطاً من الراحة، ولم تستطع النوم؛ فهي قلقة بشأن والدها، سمعت أصواتًا في الخارج؛ لم تكترث لها.. في البداية توقعت أنها من المسافرين، ثم غطت بنوم عميق.

- ليلى.. ليلى.. استيقظي يا ابنتي.

كانت سلمى تحاول إيقاضها؛ للإفطار، وليلى متعبة لا تستطيع النهوض، الجميع توجه لتناول طعام الإفطار وليلى مازالت نائمة، عاد وليد؛ ليوقظها ولكنه لم يجدها في فراشها.

نادى عليها في قلق وتعجب:

- ليلى أين ذهبتي؟

طرق باب الحمام عدة مرات لم يجب أحد، ظن أنها ذهبت للمطعم ولم يرها؛ فعاد وليد وأخبر والدته:

- لم أجدها في غرفتها.

سألت الأم في دهشة وقلق على ابنتها الصغيرة:

- أين ذهبَتْ؟!

قال صالح:

- من الممكن أنها قد صعدت لسطح السفينة.

وأردَفت ريم قائلة:

- وكيف تذهب وهي لم تتناول إفطارها؟

قالت مروة زوجة خالد:

- سوف تعود بعد قليل وترونها.. لا تقلقوا.

***

مالك يذهب للسفارة؛ ليلتقي بمنسوبيها؛ ليحصر الأضرار ويبلغ دولته بها، يوجد رجال شرطة بكل مكان به أدلة جنائية، يبحثون؛ لمعرفة الفاعل، تلقى مالك عدة اتصالات من السعودية؛ لكي يطمئنوا على سير العمل في الخارج، يحاول طمأنتهم، يتصل والده ووالدته؛ للاطمئنان على مالك.

https://t.me/art_of_book

قال الأب محمد:

- كيف حالك يا ولدي وكيف هم أبناؤك؟

رد مالك:

- الحمد لله يا والدي انا ابنك الشجاع الذي عهدته ... لا تخف

أخذت أم مالك السماعة من زوجها وهي تقول:

- أريد الاطمئنان عليك.. هل أصابك شيء لا قدر الله؟

أجاب مالك مطمْئنًا:

- اطمئني يا أمي أنا بخير ولم أصب بأذى والحمدلله.. اطلبي من الخادمة تجهيز المنزل لعائلتي.. إنهم في الطريق إليكم.

قالت الأم فرحة:

- أم مالك ترحب بهم.. وأنتَ متى سأرَاك؟ لن يطمئن قلبي الا برؤيتك

- إن شاء الله في نهاية الأسبوع..

أستأذنك يا والدتي لدي اتصالات كثيرة.

قالت أم مالك مُودعة:

- مع السلامة يا ولدي.. في حفظ الله ورعايته.

***

بحث الجميع عن ليلى فلم يجدوا لها أثرًا على متن السفينة، الجميع يعيش حالة من الرعب والخوف.. أين ذهبتْ؟!.. كانت بفراشها..! هل التهمتها السفينة؟!..

تغيرت الأقدار للأسوأ وأظلمت السماء في الصباح من هول الخبر.. لقد ضاقَ صدر جميع من في السفينة.

الأم تعبَة من التفكير، طاقَم السفينة بحالة استنفار، فلم يحدث أن اختفت فتاة هكذا من قبل!.. الأخوة يصرُخون وهم يَهتفون باسم أختهم كالمجانين، بصراخهم يطلبون من القبطان التوقف وجَلب فريق من الغواصين؛ لعل أختهم سقطت، فهم لا يريدون الابتعاد عن مكان اختفائها، صديقتها رجاء وزوجات إخوتها تبحثن بالأماكن التي لا يدخلها إلا النساء.

https://t.me/art_of_book

من ملاحين السفينة أربعة غواصين نزلوا للأسفل، بحثوا لمسافة لم يروا شيئا وكأن السماء انشقت وجذبتها.

***

الجد والجدة يُجهزان لأحفادهم منزلهم، وقد أحضروا الخادمات؛ لكي يهتموا به وينظفوه، وهم سعيدين لرؤية أحفادهم، مر على سفرهم سنة وثلاثة أشهر منذ آخر لقاء معهم، أم مالك تُجهز لهم مطبخهم بما لذ وطاب، وتضع الطعام بالثلاجة، وتغير أغطية الأسرة، المنزل بحالة من الاستنفار السعيد بلقاء الأحفاد.

***

ما هذا الذي يُمسك بيد ليلى ويسحبها بقوة لقاع المحيط؟!.. ماذا يضع بفمها وهي تلوكه بفكها ظنًا منها أنه طوق نجاة؟!.. تفتح عينيها وإذا بها ترى رجل بشري يشبهها بقاع البحر.

قالت ليلى بفزع:

- من أنتَ؟.. وماذا تريد مني؟.. ابتعد عني لا تؤذيني.

- أنا عمروس.. بشري وخطفتني

حورية من البحر وهي تحتجزني ولاتريد لي العودة.

قالت ليلى باستغراب:

- عمروس!.. ولماذا رجل واسمك هكذا؟!

رد عمروس قائلا:

- اسمي البشري عمر وبعدما دخلت لعالم البحر غيرته لي جلفار.

- من هي جلفار؟!

- حورية تحمي وادي الجن والشياطين.. فهم يصنعون مخزون السحر بداخل هذا الوادي وهي تمنع كل من يحاول إخراج السحر.

سألته ليلى بحزن:

- لماذا خطفتني يا عمروس؟.. أريد العودة لأمي وإخوتي.

- أنا لم أخطفك.. كنتُ أريد منك المساعدة لكي تنقذيني قبل عودة جلفار من المحيط الهادي.. لا أريد تحول جسمي والعيش معها بالمحيط المتوسط.

أردفت ليلى قائلة:

- وكيف أُساعدك وأنا معك في البحر؟!.. لو حكيت قصتك وأنا على متن السفينة كنت حينها أستطيع مساعدتك.. لقد أبحرت السفينة.. ولم أعُد أراها.

قالت ذلك ثم دمعت عيناها، رد عمر بأسف:

- لم أكن أنوي خطفك.. وبعد سقوطك في البحر خفت أن تموتي غرقًا.. فوضعت تعويذة جلفار بفمك؛ كي تستطيعين التنفس.

أخبرته ليلى أنها لا تُجيد السباحة والغطس، وعندما شاهدته يستنجد ظنت أنهُ يغرق، وأُصيبت بدوار البحر وسقطت بين يدي عمروس، وهو من التقفها، نظرا إلى السفينة وإذا بها تبحر بعيدا.. حاولا اللحاق بها دون جدوى فقد كانا يسبحا عكس التيار، حزنت ليلى كثيرًا.

عمروس يتجول ممسكًا يد ليلى؛ ليعود بها.. أعجبت ليلى بأعماق المحيط؛ فهو شيء من الخيال، شعب مرجانية، وأسماك ملونة بأحجام صغيرة وكبيرة، هناك دلافين تَصعد ليلى على ظهرها وكانت تحملها من مكان لآخر، لم تفكر ليلى بعالم الأرض وكأنها نسيت وانخرطت بجمال البحر، واستلذت بالطعام الذي قدمهُ لها.

https://t.me/art_of_book

عمروس سعيد بوجودها، آنست وحدته، وفي منتصف الليل كانا يصعدان على سطح صخرة كبيرة؛ يشاهدان القمر ويغنيان.

أحب عمروس وجود ليلى ولم يبتعد عنها فهو قريب منها، ليلى تعامله كصديق لها؛ فهي لا تعرف غيره لتحادثه، وتنتظر قدوم عائلتها؛ للبحث عنها.

ذات يوم طلبت ليلى من عمروس الخروج لأعماق البحر واكتشاف العمق أكثر وأكثر.

عمروس:

- أنا لا أعرف البحر جيدًا.

قالت ليلى:

- دعنا نكتشفه سويًا لربما نجد شيئًا يساعدنا للخروج من هنا والعودة لمنازلنا.

قال عمروس مستسلمًا لها:

- حسنا ولكن لا تبتعدي عني.

https://t.me/art_of_book

ردت ليلى بحماس:

- هيا بنا.. لا تخف.

ليلى تسبح بطلاقة للعمق وكأنها تعرفه من قبل، وعمروس خلفها ويتبعها، وفي الطريق وجدا أُخطبوط كبير بالسن لا يكاد يتحرك من مكانه، خاطبته ليلى وسألته:

- من أنتَ يا عم؟

- أنا النغار (أخطبوط) المحيط وأقدم الكائنات بهذا المحيط وحكيم البحر..

ومن أنتِ؟

أجابته مبتسمة:

- أنا ليلى.

سألها النغار:

- لا يبدو أنك حورية فنظري ضعيف لا أرى جيدًا؟

- أنا بشرية وواقعة تحت تأثير السحر.

https://t.me/art_of_book

- هل جلفار من سحرتك؟!.. تلك الحورية الخبيثة.

- لا يا سيدي من سحرني هو عمروس.

سألها باستغراب:

- ومن عمروس هذا؟!.. لم أسمع به.

ليلى وهي تسحب عمروس من يده:

- هذا يا سيدي.

ظل النغار يحدق به ويقول:

- اقترب يا بني لكي أراكَ جيدًا.

عمروس يقترب بخجل منه:

- مساء الخير يا سيدي.

- مساءَ النور.. من أنتَ؟

رد عمروس قائلًا:

- أنا بشري.. وقعتُ ضحية لجلفار.. لقد سحبتني من أعلى السفينة بخدعة منها وعندما حاولت مساعدتها سحبتني للبحر وأطعمتني

https://t.me/art_of_book

تعويذة جعلتني أتنفس بالماء وأضافت بعض الحراشيف على جسدي؛ كي أتحمل ملوحة الماء.

قال النغار:

هذه همس جلفار تحب السحر و اعماله .. هي تحرس المحيط من البشر .. لا تريد منهم اخراج السحر و فكه عليهم .. تخيف القطاسين و تهجم انها مؤذيه يحبها الجن و الشياطين و يكافئونها بتلبية رغباتها و صنع السحر لكل من يؤذيها.

أضاف عمر بحزن:

- لقد غيرت اسمي أيضا.. وتريد الزواج بي.. وأنا أريد العودة لموطني.

قالت ليلى:

- سيدي النغار دلني على من يخرجني من هنا ويخلصني من السحر.. أريد رؤية عائلتي فوالدي واقع بمشكلة كبيرة وأريد أن أطمئن عليه.

- ابنتي ليلى يوجد من يساعدك ولكن ليس بمحيطنا.. إنه بالبحر الأسود.

ليلى بلهفة:

- أرشدني عليه وسأذهب في الحال.

عمروس:

- سأذهب معها فمشكلتنا واحدة.

النغار:

- سأرسل معكما حارسي الشخصي سيوصلكما للحبار.. وصديقي الحبار سيكمل معكما.

- حسنا لنذهب الليلة يا عم.

- غدًا يا ابنتي في الصباح.

عمروس:

- لننتظر للصباح ونذهب.

عندما خلد الجميع للنوم بضيافة الجد نغار تسللت جلفار وأخذت عمروس وهربت به؛ لكي لا ينقذه.

https://t.me/art_of_book

وفي منتصف الطريق استيقظ عمروس، ورأى جلفار قابضة بيده وتسحبه، فهّم يصرخ ويقول:

- افلتي يدي لا أريدك.

قالت جلفار:

- أنا أريدك ولن أتخلى عنك.

صرخ بوجهها قائلًا:

انا اريد ليلى و لا اريدك

صرخت بغضب:

- ومن ليلى تلك؟!.. أنا لا أعرف حورية بهذا الاسم.

قال عمروس:

- هي ليست حورية بل بشرية مثلي.

سألت جلفار باستغراب:

- وكيف لها أن تعيش داخل الماء فتاة الطين تلك؟!

https://t.me/art_of_book

رد عمروس مجيبًا:

- أنا جلبتها ووضعت بفمها السحر الذي ألقمتني إياه فأصبحت مثلي.

جلفار بغضب شديد:

- يا لك من وقح.. كيف تعبث بأعمالي.

قال عمروس:

- تعلمت الوقاحة منك فانا احببت ليلى و لم احتمد غيابها فهي فتاه جميلو ز طيبة القلب و ليست بشعه مثلك

قالت جلفار بحزن وغيرة:

- أنا بشعة؟!.. أنا من تحبك وتعمل لكي تسعدك.. ماذا فعلت تلك الليلى من أجلك؟

عمروس بغضب يدخل لأحد تجاويف الكهف ويجلس يفكر كيف يعود إلى ليلى.

أما جلفار تكاد تموت من الغيرة:

- وما ينقُصني إلا تلك البشرية.

***

https://t.me/art_of_book

وفي صباحِ اليوم التالي تستيقظ ليلى؛ لتبحث عن عمروس، وتسأل الحارس عنه، أخبرها أن جلفار دخلت عليه ونومته برذاذ سحرها وخطفته، وأنه لم يستطع منعها؛ لأنهم يخافون من شر أعمالها.

نغار يسأل ليلى:

- هل ستذهبين أم تنتظرين صديقك؟

- لا.. أريد الذهاب.. لن أنتظر أحد.

- حسنًا.

أمر حارسه جَحدر بالذهاب معها، وأوصاه عليها بألا يتركها.

شكرت ليلى نغار وودعته، جحدر يسحبها بيدها؛ ليدلها على الطريق، وهي تسبح ترى أشياءًا غريبة، وأشكالها جميلة، وترى الأسماك الصغيرة تتغذى عليها، وتبتسم ليلى وتودعهم؛ لأنها لا تريد العودة للمحيط المتوسط، وبعد عدة أيام من ركوب الأمواج الداخلية المتحركة داخل البحر تسال جحدر:

- هل تبقى لنا الكثير؟

جحدر يبتسم ويقول:

- نعم.. أكثر مما تتوقعين.

توقفا؛ للاستراحة عند أطراف المحيط، وإذا بحورية تأتي لليلى وتتحدث معها:

- هل أنتِ البشرية ليلى؟

تنظر لها بدهشة وتسالها:

- كيف عرفتي؟!

قالت الحورية:

- سمعنا عنك من جلفار.

سألت باستغراب وقلق:

- وماذا قالت عني؟

- قالت أناكِ عدوتها.

ليلى في تعجب وخوف:

- وكيف أكون عدوتها وأنا لا أعرفها؟!.. أتعجب كنت أظنه حكر على ساكني الأرض.

كيف يصد الكره
و العداوه لاعماق البحر !

قال جحدر:

- قد يكون الكره يا سيدتي أعمق هنا من الأرض.

سألت ليلى:

- وما هو اسمك يا حورية؟

- اسمي دُرة.

في إعجاب ليلى:

- اسمك جميل جدًا.

- وأنتِ جميلة وأنا لن ألوم عمروس عندما تحدث و قال احب ليلى ومن هنا كرهتك جلفار.

بتساؤل:

- وأين عمروس.

أجابت درة:

- محبوسٌ لدى جلفار.. فهي تريد الزواج به.

- ولماذا تحبسه وهي تحبه؟!

- يُريد اللحاق بك والعودة إلى الأرض.

قالت ليلى وهي لا تهتم لأمره:

- سيتخلص من جلفار ويخرج كما يريد.

سألت درة بتعجب:

- أين تذهبين يا ليلى؟.. أريد أن أكون صديقتك.

رد جحدر يسبق ليلى في الرد:

- هي لا تذهب لمكان.. فقط تتنزه وتستكشف البحر.

فهمت ليلى أن جحدر لا يريد أن يعلم أحدا عن رحلتهما، استأذنت ليلى وانصرفت وتبعها حارسها، وعندما ركبا الموج كان قويا جدا؛ فقدت جحدر، وأخذها الموج لمكان بعيد ومظلم؛ خافت ليلى؛ فهي الآن وحدها، وصرخت باسم جحدر، ظلت تبحثُ عنه، هزمها الصمت، ومن خوفها غنت بصوتها أغنية كانت تنشدها وهي طفلة، إذ بها ترى ضوءا خافتا يأتي نحوها ويقترب منها شيئا فشيئا؛ سكتت ليلى وهي تنظر للضوء المقترب، فإذا به يشبه بشكله الخارجي حوريات البحر.. ولكنه ليس أنثى،

سألته ليلى في قلق:

- من أنتَ؟!.. وماذا تحمل؟

رد عليها قائلًا:

- أنا خيلان وأحمل قِنديل البحر.

سألت في اندهاش:

- وماذا يُعني خيلان؟!

رد عليها مجيبًا بابتسامة هادئة:

- الخيلان هم ذكور الحوريات.

سكن ليلى الخوف؛ فنظرت حولها في قلق وهي تقول:

- وماذا تريد مني؟

- أنا أقدم المساعد كما ترين.

سكت لبرهة ثم تابع قائلًا:

- ومن أنتِ؟.. شكلك غريب تشبهين البشر.

- أنا بشرية واسمي ليلى.. وأنتَ ما اسمك؟

https://t.me/art_of_book

رد مبتسمًا بلطف:

- أنا الأمير هيلز.. أميرًا لمحيط الهادي.

سألت ليلى بتعجب:

- هل خرجنا من المحيط المتوسط؟

رد هيلز قائلًا:

- نعم أنتِ على حدود المحيط الهادي.. من المؤكد أن الموج قذفك من محيطك.. وكيف لبشرية أن تدخل البحر؟

سقطت من السفينة، ووضع بفمي تعويذة صنعتها جلفار.

قال هيلز:

- جلفار لا أحد يسلم من أعمالها.. ولكن ماذا تريد من فتاة مثلك؟!

- جلفار صنعت التعويذة فقط ولكن عمروس هو من التقفني عند سقوطي وألقمني التعويذة.

قال هيلز مرحبا:

- هل من الممكن أن أستضيفك بقصري لبضعة أيام؟!

ذهبت ليلى معه إلى قصره، حيث كان يمشي ويحمل بيده قنديل البحر وحوله حراس يتبعونه من بعيد.

سألت ليلى:

- من هؤلاء؟

- إنهم حراس يتجولون معي؛ لكي نساعد من يحتاج المساعدة في الظلام.. فالبحر شاسع ومخيف.

أمر الأمير هيلز الحورية بأن تأخذ ليلى لغرفتها؛ كي تنام فيها، تمشي وتنظر بقصر هيلز؛ فهو فخم جدا، صنع من محارة كبيرة بداخلها تجاويف شفافة مريحة للنوم، ومطلة على شعب مرجانية مُلونة المنظر، أسر وسحر قلب ليلى من جماله، نامت ليلى بأحد تجاويف المحارة، وفي الصباح اجتمع عليها عدد من حوريات القصر؛ لكي يساعدونها في الخروج وتناول الإفطار، وهي سعيدة بوجوها بقصر هيلز الجميل، في الصباح يتخلل القصر أشعة الشمس الذهبية، وكان القصر مصنوع من الزجاج والشعب المُرجانية الشفافة تتدلى من أعلى المحارة وكأنها ستَائر تنسدِل على الزجاج لتغطيه بألوان فاتحة جميلة، أثاث القصر مريح جدًا، الطعام فاخر وقد وضع داخل أصداف ذهبية وكأنها ترى قصة ألف ليلة وليلة التي كانت تحكيها لها والدتها سلمى وهي طفلة.

طلبت ليلى من الحراس أن يعيدوها للمكان الذي وجدوها به؛ لعلها تقابل جحدر حارس النغار.

أمر هيلز الحراس بالبحث عن جحدر دون أخذ الضيفة معهم فهو يريد تناول الإفطار معها واستضافتها، وإذا بها تلبس فستانا لونه أزرق، وتضع على رقبتها عقد صنعته الحوريات من اللؤلؤ، أطلت بإطلالة تخطف الأبصار، وقد سحرت الجميع بجمالها وشعرها الأسود المنسدل على ظهرها وكأنها ملكة هذا القصر، اسر جمالها المبهر الاميد الوسيم الذي ركع 9 قبل يدها ليجلسها امامه

قال هيلز:

- انت جميلة يا ليلى و كانك نجمة سقطت من السماء

كانت ليلى تبتسم في خجل ، و تشكره ؛ لحسن الضيافه

الحوريات يُوزعن الطعام، ليلى تستلذ باصناف الاطعمه ، و هيلز يسترق النظر و هو يبتسم ، يشعر بسعاده لاول مره بحياته ، ويتجاذب الحديث مع ضيفته، فتحكي له قصتها كاملة إلى أن وجدها، وتطلب منه المساعدة؛ لكي تعود لسطح الأرض ولعائلتها.

قال هيلز:

- صحيح ما قاله النغار عن الحبار.. فهو سيساعدك.. إنه يعلم كيف يبطل سحر الجن والشياطين.

قالت ليلى:

- هل تعرف مكانه؟.. دُلني عليه أرجوك.

يعدها هيلز بمساعدتها، وتذهب ليلى لغرفتها، ويجلس هيلز لوحده؛ يحس بالوحده ، و يضيق صدره ، لديه رغبة برؤية ليلى و الحديث معها ، ما هذا الشعور ؟!... انه احساس غريب، دائما تأتي له الحوريات، ويجالسنه، ويرقصن أمامه وهو لا يحرك لهن ساكنا، فكم من حورية عشقته وتمنت الزواج به وهو يرفض، يريد أن تكون حبيبته هي زوجته.

وبعد ساعه يأتي الحراس ويبلغونه بأنهم وجدوا جحدر حارس ليلى، طلب منهم أن يسجنوه؛ بتهمة تخطي الحدود دون استئذان، وأن يُخبرُوا ليلى بأن بحثهم باء بالفشل، هو لا يعلم لماذا يفعل ذلك!.. نفذَ الحراس الأوامر، وعندما جاء وقت الغداء أمر هيلز بمائدة طويلة يوضع عليها ما لذ وطاب لضيفته ليلى، دخلت ليلى بإطلالة جديدة وهي ترتدي فستانًا ملكي أحمر، وضع عليه أصدافٌ صغيرة ملونة؛ زادها جمالًا، انبهر هيلز من جمالها ، فما يراه شيء من الخيال

جلست ليلى على الكرسي أمام طاولة الغداء وهي منبهرة من جمال وفخامة الطاولة، سألت الأمير:

- هل وجدتم حارِسي؟

- لا لم نجده.. فربما الموج لم يقذفه لمحيطنا.

بدا الجنن على ملامح ليلى ؛ فاحس هيلزبحقارة فعله ، فكيف لها تحزن و هو سبب حزنها من حبس حارسها عنها رد على عجلة:

- سنجده قريبا.. ما زال البحث مستمرًا لا تحزني.. وإن لم نجده.. أنا من سيجلب الحبار إلى هنا.

ابتسمت ليلى من كلامه واطمأنت، وبدءا بتناول الطعام، وعندما انتهت ليلى استأذنت وذهبت لغرفتها،انطفا قنديل السعاده الذي يمشعه به هيلز ، و احس بوحدة و غضب ؛ لعدم رؤيته لها

خرجت ليلى مع الحوريات لحديقة القصر، وهي تتجول سألتها إحدى الحوريات:

- هل ستتزوجين من الأمير هيلز يا سيدتي؟

ضحكت ليلى وقالت:

- كيف نتزوج ونحن مختلفان؟!.. لا لن أتزوج.. أنا فتاة فقدت عائلتها ووطنها وسوف أعود لهم.. وإن فكرت بالزواج سأتزوج بشري وأحيا فوق الأرض.

سمع هيلز حوار ليلى ؛ و احس بفصة تخنقه... هل لانهم مختلفان لا ستتطيع النواج بها ؟! ..ام انها تحب شخص اخر فوق الارض ؟!

وفي المساء وضعت مائدة العشاء وكانت فاخرة، والقناديل تشعل المكان من قوة ضوءها انعكست على الغشاء الشفاف؛ حتى أمست المحارة قصر من الخيال.

دخلت ليلى وهي مرتدية فستانا أبيض وكأنها لؤلؤة تمشي على زجاج القصر، ينبهر الأمير ويرحب بها كعادته، و اخذ يثنى على جمالها الاخاذ ، ويسألها:

هل نساء الارض جميعا بهذا الجمال ؟

وبدأ يشاطرها الحديث، وكيف كانت حياتها بمنزلها وهي تجيبه، خطر ببال هيلز أن يفاجئها بسؤاله:

هل انت متزوجه من قبل ان تسقطي ببحرنا؟

ضحكت ليلى وهمت بالإجابة:

- لا لم أتزوج بعد.. كنت أدرس وأتعلم ولم يأتِ سن الزواج كبشرية.

فرح هيلز وكأن الإجابة أتت كما يُريد.. وطلب منها أن تسهر معه وتقُص عليه القصص، لم ترفض ليلى؛ فهي ضجرة من وضعها وتريد أن تتحدث وتؤنس وحدتها، جلست أمامه وهي تحكي له عن والدها وإخوتها وأمها و[redacted] و هو ينظر بسعادة لها و كانه يتمنى الا ينتهي حديثها وبعد انتصاف الليل استأذنت ليلى؛ لكي تنام وأذن لها.

جاء الحارس إلى الأمير يقول:

- هل نبدأ بالجولة يا سيدي؟

رد الأمير قائلًا:

- لن أذهب معكم الليلة.

الحارس متعجبا:

- أنت لا تترك التجوال معنا يا سيدي.

- أحتاج إلى بعض الراحة والنوم.. اذهبوا أنتم وتفقدوا المحيط.

لم ينم هيلز، سهر يحدق بسقف قصـــره، **ماذا سيفعل عند رحيل ليلى ؟!.. فلقد تعود على وجودها ، و يوم واحد معها غير حياته للاجمل ، و شعر بالسعاده بوجودها ، و اذا غابت هن ناظريه يكتئب و يشعر بالضيق**

هل يصلح الحب ما افسدته الحياه ؟!.. ام ان الحي تفاحة فاسده بمجرد قضمها تقتلنا ؟!

***

رن الهاتف وإذا به مالك يسأل والده بعد التحية:

- هل وصلت عائلتي؟

- لا يا ولدي.. إن شاء الله يصلون بالسلامة.

قال مالك بقلق شديد:

- أريد أن أطمن يا والدي عند وصولهم.

https://t.me/art_of_book

وليد وصالح يساعدان والدتهما على النهوض، همَّ الجميع بالرحيل مثقلين بهَمِّ أختهم ورحيلها غير المُعلن، يستقبلهم الجد والجدة بكل فرح وسرور، لايعلمون ما حدث بالسفينة، ولكن وجوههم العابسة تخبرهم بالهم الذي أصابهم، قال الجد محمد مرحبًا:

- الحمد لله على سلامتكم يا أولادي.

رد خالد قائلًا:

- سلمك الله يا جدي.

سأل الجد:

- خير يا ولدي.. ماذا بكم؟.. ولماذا لا أرى ليلى؟

بصوت متهدج أجاب على سؤال جده:

- أختي...

يقولها وقد خنق بعبرته:

- فقدناها في رحلتِنا.

https://t.me/art_of_book

صرخت الجدة من هول الصدمة وهي تضع يدها على رأسها:

- غرقت بالبحر؟!

بكت سلمى وسقطت على ركبتيها، وقالت بصوت مخنوق ونفس متقطع:

- آآآه يا ليلى.. أين أنتِ يا ابنتي؟

وبعد بكاء طويل قصوا للجد كيف فقدوها وأن البحث جارٍ، طلب الجد أن يهدأ الجميع ويدخلون إلى غرفهم؛ كي يرتاحوا من عناء السفر.

طلب خالد من جده وجدته عدم إخبار والده بما حدث لأخته؛ فهو يخاف من صدمته وهو بعيد عنهم.

ان تمنيتم شيئا فتمنو ان يديكم الله قيمة الاشياء بعد زوالها

اتصل الجد بمالك وطمئنه قائلًا:

- الحمد لله الأولاد وأمهم بخير وهم بغرفهم يرتاحون.

***

يذهب صالح وخالد لمركز الشرطة ليطمئنا، يسأل خالد:

- ماذا استجد على قضية أختي؟

الضابط يرد عليهم مجيبا:

- لا وجود لأثر شيء مخيف أو مريب.. ولا تعلم أين سقطت ليلى!.. ولعل حسب فقدانكم لها فأنتم فقدتموها بالمحيط المتوسط وداخل حدود الغرب.. وطلبنا من فريق الغطس البحث في المكان الذي فقدت به.

أجرى الضابط مازن اتصالا لصديقه سامي في الدمام:

- حضرت أسرة السفير يا سيدي.

رد الضابط سامي:

- سآتي في الحال على أقرب رحلة طيران.

- يا سيدي لقد فقدوا الفتاة.. سقطت في البحر ولم يتم العثور عليها.

- ماذا تقول؟!.. لم أواجه قضية اختطاف بهذا السوء.. في كل مرة تتعقد الأمور وتختل الموازين.

هل يستطيع مصيرها كمصير عمر ؟

***

https://t.me/art_of_book

ليل تستأذن من هيلز؛ تريد البحث عن الخبار وإكمال رحلة عودتها، ولكن هيلز يفاجئها بقدوم الخبار للقصر ويدخلها إليه.

- انظري لقد جلبته لكِ.

ليل تسأل الخبار على عجلة:

- سيدي الخبار لقد وضع بفمي تعويذة وتحولت لبشرية تعيش بالبحر.. أريد مساعدتك للتخلص من هذه التعويذة فهي تزعجني، أريد العودة لسطح الأرض ولعائلتي.

الخبار يسأل:

- من ألقمكِ هذه التعويذة؟

ردت ليل:

- إنه عمروس.. بشري خطفته جلفار.. فهي تريد الزواج منه.

قال الخبار بتضجر:

- نحن لا نخلص من جلفار وأعمالها الشنيعة.. اسمعي يا ليل هذه التعويذة من صنع ساحرة من البشر ورمتها بقاع البحر لكي يصعب على المسحور النجاة من سحرها.

قالت ليل في ضيق وحزن:

- إلن أخرج من البحر؟!

قال هيلز ونظرات السعادة بعينيه وهو يقترب من ليل:

- دعيك يبحرنا فنحن محظوظون بوجود بشرية جميلة.

قالت ليل وهي خجلة من كلامه:

- أريد الخروج والاطمئنان على والدي.

قال الخبار:

- ليل يجب أن تبحثي عن الساحرة وتتحدثي معها؛ لكي تصنع ترياقا يفسد عملها وتخرجك معها.

قالت ليل وهي يائسة:

- أشكرك أيها الخبار الطيب.

رد الخبار:

- أنا بخدمة الجميع دائما.

https://t.me/art_of_book

ينصرف الخيار، وتجلس ليل تفكر كيف ستجد الساحرة؟!.. وأين تضع سحرها بالبحر؟!.. دخل هيلز، لتفقدها فوجدها حائرة، سألها:

- بماذا تشغلين بالك يا جميلة؟

احمرت وجنتيها خجلاً:

- أفكر أين أجد تلك الساحرة

رد عليها:

- نسأل جلفار فهي تعرف عالم الجن والشياطين والسحرة وتتواصل معهم.

ليل تدفع هيلز قائلة:

- لنذهب إلى جلفار.. أريد رؤيتها على الفور.

- جلفار موجودة بالبحر المتوسط وأنتِ بالمحيط الهادي.

- لنذهب إليها لكي تخبرنا من هي تلك الساحرة وكيف نلتقي بها.

- أنا أمير ولا أستطيع الابتعاد عن مملكتي.

قالت في حماس:

- دعك هنا بقصرك وأنا سأذهب مع أحد الحراس.

هيلز يبحث عن حلول **لا مزيد الابتعاد عنها** قال وسط أفكاره المتراكمة:

- سوف أرسل سعفان ليجلب جلفار.

قالت ليل:

- وإن رفضت ترك الوادي ماذا تفعل؟

- لن ترفض فهي تتمنى أن أطلب منها خدمة، حاولت بالماضي التودد لكي أتزوجها.

ليل **كانها احسست بالغيره بعض الشيء**

و لماذا لم تتزوج بها

رد هيلز وهو يبتسم ويقترب من ليل:

انا لم اتزوج الا من حبيبة قلبي

الم تجد تلك الحبيبه ؟

https://t.me/art_of_book

أجاب في حزن:

انها موجوده و لكنني لم ابح لها بحبي اخاف ان اخسرها

ليل، كانها احسن من نظراته انها المقصوده بكلامه

- يا سيدي أريد الذهاب في الصباح مع الحارس وألتقي بجلفار.

قال هيلز:

- حسنا ولكن عِديني بالعودة إلى القصر.

ردت بابتسامة لطيفة:

- أعِدُك بذلك.

احس الامير بضيق صدره و بسوء مزاج يفتليه بدون سبب يزعجه

الم الرحيل موجع؛فكل مودعلا نعلم هل سيعود ام يرحل بلا

عوده

اراد ان يبوح لليلى بحبه و لكنه اوجس خيفة من الا تعود اليه مدة

اخرى و قرر عند عودتها من البحر المتوسط سوف يخبرها

الوسيم هيلز وتذهب، وعند ركوب الأمواج داخل

الحارس؛ لكي لا يفقدها؛ فهو يخاف من قطع رأسه لو فقد ليل، وصلت ليل للبحر المتوسط، وأرادت قبل الذهاب لجلفار أن تقابل الأخطبوط النغار؛ لتسلم عليه، وتخبره عن فقدانها حارسه جحدر.. ها هي تلتقي وتسلم عليه.

- كيف حالكِ يا ابنتي؟

- بخير والحمد لله.. كيف حالك يا سيد نغار.

- أنا بخير.. أين جحدر؟.. مالي لا أرَاه.

ليل تطأطئ رأسها وتقول:

- لقد فقدته بعد ركوب الموج.. فلم أجده وبقيت في ظلام دامس إلى أن وجدني الأمير هيلز..

أعتذر يا سيدي فأنا سبب فقدانك لحارسك الأمين.

- لا تعتذري يا ابنتي.. فهو يعلم طريق العودة.. ولكن ماذا فعلتِ؟

- التقيت الحبار.. جاء به هيلز لقصره.

سألها النغار في حماس وفضول:

- وماذا قال لكِ؟.. هل ساعدكِ؟

https://t.me/art_of_book

أجاب في حزن:

- إنها موجودة ولكن لم أبح لها بحبي. أخاف أن أخسرها.

ليل وكأنها أحست من نظراته أنها المقصودة بكلامه:

- يا سيدي أريد الذهاب في الصباح مع الحارس والتقي بجلفار.

قال هيلز:

- حسنا ولكن عِديني بالعودة إلى القصر.

ردت بابتسامة لطيفة:

- أعِدُك بذلك.

أحس الأمير بضيق بصدره، وسوء مزاج يَعتَليه بدون سبب يزعجه.

"ألم الرحيل مُوجع؛ فكل مودعٍ لا نعلم هل سيعود أم يرحل بلا عودة"

أراد أن يبُوح لليل بحبه.. ولكن أوجس خيفةً من الا تعود إليه مرة أخرى، وقرر عند عودتها من البحر المتوسط سوف يخبرها، تودع الأمير الوسيم هيلز وتذهب، وعند ركوب الأمواج داخل البحر يمسك بها

- نعم لقد طلب مني رؤية جلفار لتبحث عن الساحرة التي تقاتله

قال لها النهار:

- سوف أجلبها لك.. أخاف أن تؤذيك وتحبسك كما فعلت بعمروس.

- حسنًا.

أمر حارسه بأن يحضر جلفار إلى منزله، رد الحارس قائلًا:

- أمرك سيدي.

ذهب الحارس على عجلة وقابل جلفار وهي تُرتب لُفافات السحر وتضعها بزجاجات.

قال الحارس:

- جلفار.. تعالي معي.. السيد النهار يريد رؤيتك.

قالت في ضيق واستهزاء:

- وماذا يُريد منك الشيخ.

رد الحارس بجبن:

- لديه ضيفة تُريد رؤيتك.

ذهبت جلفار معه بهدوء، وصل بها إلى النهار ثم قال:

- سيدي جلفار بالخارج.. هل أُدخلها؟

- دعها تدخل.. كفانا الله شر منظرها. يقولها باسمًا.

ليل تبتسم للعم نهار.

جلفار تدخل وتنظر لليل بنظرات حقد وكراهية، عرفت أنها تلك البشرية التي جلبها عمروس من تلك السفينة، ثم نظرت إلى النهار وقالت في ضيق:

- ماذا تُريد؟!

- اجلسي.. فضيقتي من تريدك.

ليل تقترب منها وتقول:

- سيدة جلفار لقد آذيت عمروس بسحرك وهو أداني بنفس السحر.. هل تستطيعين مساعدتي؟.. أريد العودة لأهلي.

https://t.me/art_of_book

قالت ليلى بلهفة:

- سوف أذهب معكِ؛ لكي أراها.

***

جاء اتصال لخالد يفيد أن فريق الغطس لم يجدوا أحد داخل البحر المتوسط، وبحثوا لمدة خمسة أيام متتالية.

أخبرَ خالد والدته وجده، الأم تنهار وتسقط على الأرض؛ فهي لم تحتمل الخبر، تريد رؤية ابنتها ولو كانت ميتة، ولا تريد أن تعيش حياتها ولا تعلم شيء عنها، تدخل المستشفى وهي فاقدة لوعيها وارتفاع بضغطها.

يصل مالك جدة وهو سعيدٌ بعدما حُلت مشاكله داخل السفارة، عندما وصل لمنزل والده رأى الوجوه حزينة وكئيبة، فسأل والده في تعجب:

- ماذا حل بكم يا والدي؟!

رد الجد محمد مغيرًا مجرى حديث مالك:

- الحمد لله على سلامتك يا ولدي.

https://t.me/art_of_book

حكى له صالح كل ما حدث، الأب مالك يضع يديه على رأسه ويقول:

- ما هذا البلاء الذي حَل علينا؟.. أين ابنتي؟.. هل هي متوفية أم حية تُرزق؟.. أخبروني أين أبحث عنها؟.. وكيف أنام وأنا لا أعلم أين ليل؟!.. إنها ابنتي الوحيدة وقطعة من قلبي.

ينهض وتُسابقهُ دموعه:

- أريد الذهاب لزوجتي.

صالح: حسناً يا والدي سنذهب سويًا.

مالك مع صالح داخل السيارة، ويتلفت الأب في وُجوه المارة؛ لعله يرى ابنته بينهم، وعند وصوله للمستشفى يلتقي بزوجته الملقاة على السرير وتملأ يدها المحاليل الطبية المهدئة للأعصاب، احْتَضَن زوجته بِصمت، وهي تحضنه انفجرا بالبكاء، فسألها:

- ماذا حل بنا؟.. ولماذا هذا الابتلاء؟!

ردت سلمى:

- استغفر الله.. إن شاء الله تعود ابتنا.. أشعر بوجودها.. لم تمت هي موجودة.

سامي يُبلغهم بحزنه لفقدان ابنتهم ويسألهم عن تفاصيل الحادث، بَدأت نقص سلمى تفاصيل حادثة غياب ابنتها وهي تُذرف دموعها؛ من هول الذكرى، استأذن سامي من مالك بأن ينفرد بالحديث مع سلمى ومن ثم يعود إليه؛ ليكمل التحقيق في حادثة الفتاة، خرج مالك وهو ينظر لزوجته والحُزن قد أدمى قلبه؛ ففقدان الأبناء أمر يُدمر فؤاد الآباء، وَجه سامي سُؤاله لسلمى وهو يقول:

- وأنا أتصفح في فضية قديمة وجدت أنكِ داخلها.

تَعتدل سلمى بِجَلستها وبنظرات مُتعجبة تَرمُقه.

- نعم يا سلمى.. فالطفلة سُعاد مختطفة من حديقةٍ عامة بالدمام.. وهي منْ أسرةٍ عربية اختطفتها خادمة اسمها وجنات أو كما تعرفينها قد كان اسمها سَنية.

تقاطعه سلمى:

- ماذا تقول؟.. ما هذا الافتراء؟!

- كنتُ أحب أن أتحدث أمام زوجك وابنك.. ولكن فضلت الحديث منفردًا بكِ أولًا.

تحول عيناها يميناً وشمالاً، تتلعثم، تبلع ريقها:

- يا سيدي ما تقوله هذه الخادمة افتراء.. أنا سيدة معروفة ولي احترامي داخل بلدي وفي البلد التي يعمل بها زوجي.. فكيف أتواطأ مع خادمة كهذه؟!.. ليل ابنتي وقد أنجبتها في جدة وبعد سنة تقريباً انتقلت بعائلتي الملك سعود في الرياض؛ لأدرس الدكتوراة في إدارة الأعمال.. لقد سافرت وتركت خالد وصالح لدى أمي لترعاهم وأخذتُ ليل معي كونها رضيعة.

قال سامي:

- دعيني أكمل باقي القصة كما رويتها وجنات.. كنتِ منهمكة بالعمل والدراسة ولم تعيري أبنائك اهتمامًا..

فالركض وراء الألقاب لتكوني جديرة بزوجة السفير جعلكِ تهملين الطفلة..

والخادمة لم تكن ترعاها كما يجب.. وفي عمر الثلاث سنوات سقطت وغرقت في حوض حمام منزلك فأخذتيها للمستشفى ولم يستطيعوا إنعاشها فقد توفيت في الحال.. وكان وقتها النظام ورقي فلم تسجلي ورقة الوفاة بعد الدفن.. وأنهيتي أمورك وبعد عدة شهور من الحزن لم تعودي

لأبنائك كي لا ينكشف سرك.. وفي إجازة نهاية العام ذهبتي إلى الدمام لدى صديقتك منى وأخبرتها أن ليل مع إخوتها في جدة.. إلى أن دعتكِ الخطة تضم سيدات المجتمع في مخيم شتوي.. وهناك التقيت موجهات التي تعمل فيمن فريق الخدم في ذلك الوقت..

رأتك مُتعبة وتبكين وتُناجين ربك بالعفو والمغفرة وبأن يُلهمك طريقة تُواري عملك.. اقتربتْ الشيطانة ووَوْسوَسَتْ لك بأن لكل مشكلة حل..

فقلتِ لها أن الموت لا يوجد له حل..

سألتك الخبيثة: من مات يا سيدتي؟

أخبرتيها أن طفلتك من فقدتي.. ولن تستطيعي مُواجهة مخاوفك أمام زوجك وعائلتك وستفقدين حب وثقة زوجك وأبنائك.. هنا اقترحتْ عليكِ بأن تخطف طفلة بمبلغ مالٍ في نظرك صغير.. ولديها كبير.. في البداية رفضتي وتهزها بألا يُعالج المجرم بالجريمة.. فكيف تطيبين ألمك على حساب ألم أم أخرى.. ردت وجنات دون الاكتراث لآلام الآخرين وقالت أن هناك حديقة في حيها وهي تذهب لها كل مساء؛ ليلعب ابنها مع الأطفال إذا تغير رأيك ستجدينها بها.

ردت والدموع في مقلتيها:

- لم أكن مرتاحة البال.. ولكن وجود ليل سعادة.. فهي فتاة جميلة جدا ومرحة وأضافت لمنزلنا بهجة.

- أتعلمين يا سلمى أن والدها قد توفى بأزمة قلبية بعد حادث الاختطاف.. فقد كان يحبها كثيرا ومتعلقا بها..

سأدعك لعذاب الضمير.. لربما تصلحين ما كان خطأ بالأمس.. وطلب المغفرة من البشر ليس أهم من طلبها من خالقهم.

أطرقت رأسها للأسفل وصمتت.

***

ها هي جلفار تتسلل لمكان نوم ليل لدى النغار وتوقظها:

- ليلى.. ليلى.. موعدنا مع أم السعالف.. سأذهب لأراها.

ليلى تقفز من داخل المحارة التي تنام بداخلها.

- هل هي الساحرة؟

تسحبها جلفار بيدها:

- تعالي.

قالت جلفار في إعجاب:

- ما هذا الشعر الجميل الذي تليته

يا ليلى؟!.. هل تعيشين حالة من الشجن؟.. ماذا أحسستِ وأنتِ ترين القمر العملاق يعكس ضوءه على سطح البحر؟!

ردت ليلى:

- لم أكن أعلم أن الأرض جميلة جدًا إلا بعد فقدها.. ولم أكن أعلم أن البحر خلاب وشجي وله حياة أخرى إلا بدخولي لهُ يا جلفار.

سألتها جلفار قائلة:

- هل ستعودين للبحر بعد خروجك؟

- يستحيل أن أعود.. حياتي فوق الأرض مع عائلتي وأصدقائي فأنا بشرية ولست حورية.

قالت جلفار: سنرى.

- لماذا لا تتركي عمروس وشأنه؟!.. فهو رجل يُريد أن يكمل حياته وفنه.

جلفار ترتعش من الخوف وتقول:

- يا سيدة أم السعالف هذا شخص يعمل معي هو من عبث وجلب هذه الفتاة وأنا أريد مُساعدتها.. إنها معي لكي تصنعين ترياقًا يُبطل عملك.

قالت أم السعالف:

- انظري يا ليلى.. لو أخذتك معي الليلة لن تستطيعين العيش ثلاثة أيام فوق الأرض.. لابد لكِ أن تأخذي من كل وادٍ زجاجة من أسحاري.. أنا في كل ليلة قمرية أضع سحر بمكان لأجل أن يصعب على المشعوذين في الأرض أن يستعينوا بأسحار الجن ويبطلوا أعمالي.. سوف تأخذين من البحر الأسود تعويذة باللون الأبيض.. ومن المحيط الهندي تجدين تعويذة باللون الأحمر.. ومن المحيط المتوسط تجدين تعويذة باللون الأخضر.. تجمعين المكونات بزجاجة واحدة وتجعلينها شهرًا وبليلة يكون القمر بدرًا تأتين على الصخرة هنا وسآتي أنا وأخبرك ماذا تفعلين.

قالت ليلى باستسلام:

- حسنا يا سيدتي.. شكرا لك.

تنهدت ليلى وقالت:

- طلبت مني جلب ثلاث تعويذات من سحرها الذي توزعه بالمحيطات.

سألها النغار في قلق عليها:

- هل ستذهبين؟!.. البحر مليء بالمخاطر.

ردت في استسلام وبعض الأمل:

- سأذهب وسأحاول كي أعود بشرية كما كنت وأنقذ عمروس.. ولكن إذا جمعت التعويذات وصنعت منها ترياقا لن أعود لوحدي.. فهو يريد أن أساعده.

حارس هيلز يطل برأسه:

- هل نذهب يا سيدتي للمحيط الهادي.

- نعم سأودع النغار ونذهب.

يمازحها النغار قائلًا:

- ألن تعودي لمحيطنا يا ابتي؟

لماذاأحسست بالفرح لرؤيته؟!.. لابد أن أفيق.. فليس لدي وقت للحب والغرام.

الحوريات يجتمعن حول ليلى ويهنؤونها بسلامة الوصول، ويجهزونها لتناول العشاء مع الأمير.

ليلى ترفض بحجة أنها تعبة وتريد النوم؛ ذهب الأمير هيلز لغرفتها عندما علم برفضها للعشاء وقال بصوت حنون يَملئه الحب:

- ليلى لا تغضبي يا حبيبتي.

ردت بانزعاج:

- لا تقل حبيبتي أرجوك.

- صدقيني يا ليلى أعرف ما تفكرين به.. ولكن إحساسي بحبك لم يترك لي مجال بالتفكير.. وأعلم أنك بشرية وأنا أعيش بالماء وهنا الاختلاف.. ولأن المحب يحب رؤية حبيبته سعيدة..

سأساعدك للعودة.. ولكن اقضي أيامك القادمة بقربي.. لا أريدك أن تحرميني وجودك.

تَقُص عليه وتشرح ماذا ستفعل وهو غارق يتأملها وكأن روحه كانت مسلوبة منه وردت إليه، لايريد الليل أن ينقضي؛ فهو شَغُوف بالجلوس معها وسماع صَوتها، يضع لها خطة بالذهاب للبحر الأسود أولًا ثم المحيط الهندي والعودة للبحر المتوسط، يبدآن بتجهيز أنفسهما للذهاب، هيلز يُكلف وزيره لتولي مهام مملكته لحين رجوعه من مهمته مع ليل.

الوزير سعفان:

- أمرك سيدي.

يأمره هيلز:

- لا تسمح بالدخول لحدودي دون إذن ومعرفة ماذا يريد.. وافرج عن جحدر واعتذر مِنه وابعث به للمحيط المتوسط.

قال سعفان:

- أمرك سيدي.. لا تخف سَتسير الأمور على ما يرام.

قالت ليلى:

- متى ستذهب للبحر الأسود؟

هيلز يتنهد:

- لكل كائن هنا طريقةٌ في الحياة لا تشبه الأخرى.. فهو يسكن بالبحر الأسود وهو أكثر ملوحة من باقي البحار ويحل به الظلام لأنه بعيد عن شروق الشمس.

الحارس يدخلهم للأمير "سيرجون" وإذا به سلطعون يجلس بكل تعجرف، ويطلب من هيلز الجلوس هو وليل، يستأذنه هيلز بالذهاب للوادي الذي تصنع فيه زجاجات الأسحار الملقاة من قبل الساحرة أم السعالف.

سأل سيرجون:

- وماذا تحتاجان من الوادي؟

ردت ليل بلهفة:

- أنا من يحتاج يا سيدي.. أريد منه ترياقًا.

يعتدل بجلسته سيرجون ثم يقول:

- الوادي تحرسه حورية سآتي بها وتأخذين ما تريدين منها.

أمر الحارس بأن يجلب الحورية غوران، تطلب ليل بأن يسمح لها بالذهاب مع الحارس؛ لترى غوران بمفردها.

يسمحُ لها ويذهب هيلز؛ ليرافقها، وعند وصولهم أخبرها الحارس بأن ضيوف الأمير سيرجون يريدون خدمة منها.

غوران تنظر لليل وهيلز:

- ماذا تريدون؟

- أريد منك أن تسمحي لي بالدخول الوادي وأخذ زجاجة من السحر الأبيض.

قالت غوران:

- أعتذر.. فأنا أحرس الوادي منذ مئات السنين ولم أسمح لأحد بدخوله سوى بإذن أم السعالف.

قالت ليل مسرعة:

- هي من طلبت مني الذهاب للبحر الأسود لأجمع ترياقًا يعيدني للأرض.

https://t.me/art_of_book

قال باسماً:

- أتُسَمينه قصرًا؟!

***

قرر والد ليلى العودة إلى منزله بعد مُضي شهر وعدة أيام بعائلته؛ ليبحث عن ابنته، وعند وصولهم للمنزل تستقبلهم خادمتهم بكل فرح وسعادة؛ لعدم تأخرهم في رحلتهم.

تستقبلهم زمردة وهي ترحب بوجه بشوش:

- أهلا بكِ.. أنرتِ منزلك يا سيدة سلمى.

ردت سلمى بتثاقُل كبير وكأنها كَبُرت عشر سنوات:

- المنزل ذهب نوره وانطفأ.. ليلى ليست موجودة أين ضحكتها؟.. أين صوتها الذي يَصدح في الأرجاء؟

سألت زمردة في استغراب:

- أين ابنتي ليلى يا سيدتي؟.. لم لا

أراها معكم؟!

دفعتهم الأمواج إلى مناطق كثيرة، في كل منطقة تقف ليلى؛ لتتأمل جمال أعماق البحر، فهي ترى تماثيل منحوتة من دفع التيارات، تمثل أشكالًا قد رأتها من قبل فوق الأرض، تقابل أسراب من الدلافين المهاجرة، وتصعد على ظهرها؛ لكي تلعب معهم، كان هيلز سعيدا برويتها سعيدة، فهو يقضي أجمل أيام حياته بالقرب من ليلى، عندما اقترب من البحر الأسود طلب الإذن من الحراس الذين يقفون ليحمون حدود محيطهم.

قال هيلز:

- اذهب لأميركم وأخبره أن أمير المحيط الهادي يريد رؤيته.

رد الحارس:

- تفضل يا سيدي فالأمراء لا ينتظرون على الحدود سأوصلك إلى لأمير "سيرجون" هيلز وليلى يَسْبَحان خلف الحارس، وإذا به يوصلهما لنفق منحوت بالحجارة، ويجعلهما ينتظران، هيلز ينظر لليل:

- لماذا أرى الدهشة على وجهك؟

ردت ليل:

- لماذا قصره هكذا؟

قال مالك:

- انصت يا سيد عمار.. لابد أن تبحث بكل جزء وقطعة داخل البحر وتخرج ابنتي.. لن أعود للمنزل بدونها.

قال القبطان:

- حاضر يا حضرة السفير.. إن شاء الله نستطيع أن نصل إليها أو نتوصل لخيط يدل أنها سقطت بالبحر.

***

يجتمع عدد من الحوريات حول هيلز، تبدأ ليل بشعور الغيرة، وهيلز يبدأ في مضايقتها بالضحك والحديث والرد على الحوريات؛ تبتعد ليل عن التجمع وتذهب للجلوس على صخرة بعيدة عن هيلز وحورياته، يقترب منها شاب من الخيلان ويتحدث مع ليل ويسألها:

- من أين أتيتِ؟!.. تبدين غريبة.

ردت ليل في أدب:

- اسمي ليل.. وغريبة لأني لا أنتمي لعالمكم فأنا من البشر.. وأنتَ ما هو اسمك؟

تبتسم ليلى وتقول:

- لا تُؤلم المسكين فمازال صغيرًا.

قال هيلز:

- هل تريدين الذهاب أم تبقين لجمع اللؤلؤ؟

ردت ليلى:

- أكتفي بما لدي.

ذهبت برفقة هيلز، وعند خروجهم من الفوهه إذا بشيطان البحر يعترض طريقهما ويطلب من هيلز أن يذهب ويترك الفتاة.

هيلز يصرخ بوجهه قائلًا:

- ماذا تريد منها؟.. الفتاة ليست حورية إنها من البشر.

شيطان البحر واسمه بيلفور، إنه طائش وعابث بالبحر الأسود، لا يكترث للقوانين.

رد عليه بيلفور:

- ماذا يعني بشرية؟.. لن ألتهمها.

هيلز يراه من بعيد، يحاول إنهاء حديثه على عجل واللحاق بليل.

الشاب يرد على ليل قائلًا:

- اسمي أسعر.

قالت ليل:

- اسمك جميل.

- أسعدني به لأني ذو بشرة سمراء..

فالبحر المبتل داكن وشديد الملوحة.

كانت ستتحدث ليل ولكن لا يتركها هيلز تكمل حديثها، يسحبها بيدها ويعتذر للشاب بلطف ثم يبادرها بسؤال:

- لماذا غضبت عندما رأيتك تتحدثين مع شاب؟!

- إنها الغيرة يا هيلز.

سألها في فضول:

- ما هو شعور الغيرة لدى البشر؟

تعبيه قائلة:

- حُب التملك للحبيب.. لا تُريده أن يبتسم أو يتحدث أو يجالس غيرك..

وإذا ابتعد قليلًا تبدأ هيناك بملاحقته.

قال هيلز:

- هذا هو إحساس الخيلان البحري أيضًا.. أحسته للتو وأنتِ تحادثين ذاك الشاب الأسمر.

ابتسمت ليل ورَمَقَتْه بنظرة:

- وأنا أيضًا غضبتُ من تجمهر الحوريات حولك.

ضحك هيلز ودار حولها بفرح:

- وأخيرًا رأيتُك تغارين.

ثم بنظرات الغرور تابع قائلًا:

- لابد أن تعتادي فأنا شخصية جذابة.

https://t.me/art_of_book

ليلى تَدفعُه أمامها وتقول:

- لنذهب إلى منزل سيرجون قبل أن يلتهمنا البحر الأسود فليس به أمان.

يدخلان القصر، يجدان أميره ينتظرهما للعشاء، ويسألهم:

- لماذا كل هذا التأخير؟

رد هيلز:

- كنا نكتشف جمال البحر الأسود ونتنزه به.

يتناولون عشائهم، ويخلدون للنوم، وينتظرون باقي أيامهم بفارغ الصبر، ها هي الليلة المنتظرة.. يسهر هيلز وليلى وبجانبهما غوران وهي تنتظر أم السعالف؛ لتأتي قبل بزوغ الفجر بساعة.

ليلى تجلس على الصخرة الكبيرة وتنظر إلى القمر وهو مكتمل، وهيلز ينظر لعينيها؛ فضوء القمر يشع من داخلها، تشير ليلى للقمر وتقول:

- انظر يا هيلز لجماله فأنا لم أكن أعلم أن القمر وهو بدرا جميل إلا وأنا داخل البحر.. لماذا لم أكن أتامله وأنا في منزلي؟!

قال هيلز مغازلا:

- لا أرى أجمل من عينيك يا ليلى.. فأنا أخاف فقدانها.. الحب يا ليلى نعمة لمن يحسن التعامل مع محبوبته ويقدر قيمة الشخص الذي يحبه.. كيف لي العيش بدونك أخبريني.

ليلى تصمت وتذرف دموعا على خدها، وكأن ألم الفراق سيطال قلبها.

هيلز ينظر للقمر ويتأمله، وينشد على ليلى:

- خذني إليك ونجني مما أعاني في الثرى..

مهما تسامى موضعك وعلا مكانك في الوجود..

فأنا خيالك أتبعك.. ظمآن أرشف ما تجود..

قمر الأماني يا قمر.. إني بهم مسقم..

أنت الشفاء المدخر.. فاسكب ضياءك في دمي.

شعر: إبراهيم ناجي

تأخذ غوران ما تحمله سيدتها وتودعها، تتبعها ليل ومعها هيلز، ويأخذان منها التعويذة وهي تغلقها داخل زجاجة، تودع غوران ليل وتعتذر منها.

ليل:

- لا بأس فهذا عملك.

هيلز يمسك يد ليل ويطلب منها أن يرحلا للمحيط الهندي ولا ينتظرا.

ترد ليل:

- لا مانع لدي هيا نذهب.. فأنا سعيدة لقد أخذت التعويذة الأولى.

هيلز:

- لا تفرحي كثيرا فلا نعلم ماذا ينتظرنا في الطريق للمحيط الهندي.

- لا تُخفني فأنا أشعر بالأطمئنان وأنا بجانبك.

يُمسك بيدها ويبدأ بربط خَصره بحباله، ولف الحبل على خصر ليل؛ لا يريد أن يفقدها، يقفان أمام الأمواج للدخول بها ودفعهم للمحيطات، تضع ليل يديها حول عنق هيلز وتضمه وتغمض عينيها من قوة التيار

النجوم تُضيء السماء، وقوارب الصيد والسفن العابِرة، ليلى تُشير لسفينة ضخمة وتقول:

- انظر يا هيلز.. تُشبه السفينة التي سقطتُ منها.. لقد كنتُ أرى عمروس بالبحر وظننتُ أنه يغرق فاقتربتُ وأُصِبْتُ بدُوار البحر وسقطت.. فسحبني بالحبل الذي ألقيته.

وهي تتحدث إذا بشخص من أعلى السفينة يحادثها:

- أتريدين مساعدة؟

هيلز يَسحبها بقدميها لداخل الماء؛ لكي تختفي ولا يراها أحد.

قالت ليلى:

- لا تخف.. لن أذهب مع أحد.. فأم السعالف أخبرتني لو خرجت للأرض قبل تناول التِرياق سأعيش ثلاثة أيام فقط ثم أموت.

يضع يده على فمها ليصمتها:

- لا قدر الله.. لا تتفَوّهي بهذه الكلمه، أموت.

- نحن البشر لنا أعمار محددة وقليلة ليس كمثلكم داخل البحر تعيشون آلاف السنين.

عند عودتها يسألها هيلز:

- ماذا فعلتي؟

- أنقذت الطفل وأعدته لأمه.

- ألا تخافي من غضب البحر عليك؟

قالت بتساؤل واستغراب:

- ولماذا يغضب البحر؟

- الطفل هو طعامه.

قالت ليل بانزعاج:

- البحر لا يأكل يا هيلز فهذه خرافات.

- متعارف عليه منذ زمن.. فنحن لا نساعد الغرقى.. نخاف من لعنة البحر.

تقول بضيق من تلك الخرافات التي يقولها:

- لا تهذي هكذا.. فلنعود لصعود الأمواج لنصل لوجهتنا قبل حلول الظلام.

https://t.me/art_of_book

ليل تتدخل في الحديث وتقول بلهفة:

- أريد الذهاب لهذا الوادي وبمساعدة جولسية يا سيدتي.. أريد تعويذة.

قالت سيدا مُرحبة:

- حسنا سأرافِقُك.

تَشكرها ليل مبتسمة:

- أنا ممتنة لكرمك وحُسن معاملتك.

تُخبرها سيدا بأن هليز ساعدها باستعادة ملكها هو وباقي الأمراء، وهو من نظّم الجيش وحارَب سمك الحجر وأخرجهم مذعورين؛ ليل تنظر لهيلز وتبتسم:

- لم تحك لي.

قال هيلز مبتسما:

- لم أفعل شيء.. فهذا عيطها وعاد لصاحبته.

سيدا تتأمل نظرات العاشقين وتطلب منهما اللحاق بها، تحكي لهم سيدا قصة جولسية وهم في الطريق للذهاب إليها.

ليلى تحتضن جولسية وتقول:

- لا تحزني سأعود لموطني.. ولكن

أنت يا جلوسية ما الذي يجبرك بأن تحرسي هذا الوادي والحفاظ على أعمال السحر والأذى.

(إننا لا نَختارُ أقدارنا.. فهي التي تَختارُنا)

ردت جولسية قائلة:

- أنا يا سيدتي لا أستطيع العيش بمنزل والدي فزوجة أبي لا تحبني.. وأبنائها يضايقونني وينعتوني بالبشعة ووالدي رجل ليس له حيلة فهو مسن ويحتاج للعناية.

ليلى تأخذ التعويذة الحمراء ويعودون مع سيدا إلى قصرها، وتطلب من الأميرة وترجوها بأن تأخذ جولسية جارية بقصرها وأن تبعدها عن عالم الشر والأشرار والعبث بحياة الناس.

سيدا تنظر لهيلز:

- من أين أتيتَ بهذه البشرية الجميلة وداخلها أجمل بكثير؟.. لا تشبه البشر الذين أعرفهم.

رد هيلز:

- كنوز الدنيا جُمعت بقلب ليل وأريد الاحتفاظ بها لنفسي.

تدعوهما سيدا القضاء بعض الأيام بمحيطها، ينظر هيلز لليل:

- هل نقبل أم نرحل؟

تقول ليل:

- دعنا نبقى لكي نرتاح من عناء سفرنا ونتمتع بجمال المحيط فهو كبير جدا وعند دراستي بالجامعة تعلمتُ أنه ثالث أكبر محيط على الأرض وبه كنوز لاتعد.. أريد رؤيتها قبل عودتي للأرض.

قال هيلز:- لم يتبق لك سوى تعويذة واحدة من جلفار وتلعين لقد شارفنا على نهاية رحلتنا.

سألت ليل:

- لماذا تقولها بحزن هكذا؟!

رد هيلز:

- لم أحزن أنا الفراق فأنا أعانه.

- سوف آتي لأراك.. لا تخف أنا لن أنسى هيلز ما حييت.

يمسك يدها ويتعمق بها داخل المحيط ليريا قصورا قد بنيت دون سكانها، وهناك لآلئ جمعت دون أخذها، وأصداف تتكدس فوق بعضها

ليل:

- لمن هذه القصور الفارغة؟

رد هيلز:

- إنها لأسماك الخجر.. فقد بنوا دولتهم وخططوا للبقاء ولكن سيدا عادت وجمعت أمراء المحيطات والبحار؛ لكي تنقذ محيطها.

قالت ليل بفضول:

- احكي لي قصتها.

- هي قصة طويلة لم أكن موجودا عندما احتل سمك الخجر المحيط الهندي.. كنت أسمع والدي وهو يحكي لوزيره كيف أن والد سيدا طيب والجميع يستغل طيبته.. وفي مرة استضاف وفدًا من سمك القرش كان يمر كل سنة ليقطع المحيط في جولة له وطلب أن يسمح لهم بأن يدخلوا بدون استئذان من الحراس فأخذ الإذن بآخرهم عن مهمتهم

https://t.me/art_of_book

قالت ليلى:

- سأذهب لأنام ونكمل جولتنا بهذه القصور غدا في الصباح.

رد هيلز وهو ينتفض.

- لنعود لقصر سيدا قبل حلول الظلام فأنا أبكي إذا رأيته.

يقولها ضاحكا وليلى تدفعه:

- أنا لا أخاف الظلام.

بعد تناولهم لطعام العشاء يذهبون؛ لكي يناموا، ولكن ليلى تريد أن تسال هيلز عن أمر استجد عليها، وعند ذهابها لمضجعه رأت سيدا تجالسه وتسأله:

- لماذا أحببتَ فتاة الطين تلك وأنتَ أمير الأمراء؟

- لا تقولي فتاة طين فهذه حبيبتي.

سيدا وهي تقدم عرضًا لهيلز:

- لماذا لا تتزوج وتصبح أميرا للمحيط الهندي والهادي وتحكم أكبر عدد من المخلوقات البحرية؟!

وهو يمسك يد ليلى ويضغط عليها آمراً بالصمت.

تسكت ليلى لترى ماذا يريد أن يعمل هيلز لينجوا من هذه المأزق، بعد تناول طعامهم يأخذ ليلى للتنزه حول القصر ولكي يبعدها عن الحراس، يقول لها:

- انظري يا ليلى.. سيدا بدأت بالغيرة منك.. لقد عرضت علي الزواج وأنا رفضتها.

قالت ليلى بخوف:

- وماذا نفعل؟.. هل نهرب؟!

- سنحاول طمئنتها لكي نهرب في منتصف الليل.

ليلى بنبرة خوف: حسنا.

قال هيلز مطمئنا إياها:

- لا تخافي سنخرج من هنا فلن أتخلى عنك وسأدفع بحياتي ثمنا لخروجك.

وعند منتصف الليل يدخل هيلز لغرفة ليلى ويوقظها، ولحمل تعويذتها ويتسللان بكل هدوء من أبواب القصر؛ لم يرهما سوى حارس

- أخبرتك سابقا وسأكررها لن أتزوج إلا بفتاة أحبها قلبي.. اعذرني يا سيدا شفاء للروح.

سألته سيدا في استغراب مع بعض الغيرة:

- وما الجميل في تلك البشرية وليس موجودا بحورية؟!

- قلبي أحبّ طيبتها وأحب مساعدتها للأشخاص دون معرفتهم أوالبحث عن مقابل.. هي شيء غريب لم أره بالبحر.

تذهب سيدا لمضجعها متضايقة من حديث هيلز وهي تغلي من حقدها، تخبئ ليل؛ كي لا تراها، ثم تنام بغرفتها ولكن النوم يجافي أجفانها فهي تفكر.

لماذا سيدا تغيرت هكذا؟!. هل أحست بالغيرة أم أنها ترى أن ليل أقل منها، ليل تريد الذهاب من المحيط قبل أن يستشر أذى سيدا وتؤذي هيلز لرفضه عرض ارتباطها؛ بسبب أنه أحب فتاة بشرية.

يستيقظون في الصباح وليل نعسة ووجهها شاحب، لم تنم من تفكيرها.

ليل:

- أريد الذهاب للمحيط المتوسط.

قال هيلز:

- أنا أيضا أريد الرحيل فلست مرتاحا.

- لنستأذن من سيدا ونغادر.

رد هيلز:

- نتناول الإفطار ونستأذنها بالعودة.

تدخل سيدا وقد ارتدت أجمل الحلي، ووضعت على رأسها تاجا من الألماس قد ورثته من أمها واحتفظت به مريانا إلا أن تكبر سيدا وتسلمه فما ليثبت أنها الوريثة لعائلتها.

تنظر إليها ليل وتمدحها بقولها:

- إنكِ جميلة بهذا التاج فهو يزيدك أناقة.

تمازحها سيدا:

- لكِ التاج والمحيط وجميع ما أملك وأنا سآخذ هيلز.

https://t.me/art_of_book

قالت ليلى:

- وإذا بقوا يحرسون التيارات ماذا نفعل؟.. يجب أن نتخلص منهم بذكاء فهم حراس يتبعون أوامر سيدا.

وإذا بدولفين داخل الكهف يتكلم:

-ماذا بكَ يا هيلز؟

التفت هيلز لمصدر الصوت والكهف مظلم:

- من المتكلم؟

رد عليه الدولفين:

- أنا سيردار صديقُ والدك.

هيلز يقترب منه:

- لقد تذكرتُك.. أنت من وضع خطة مع والدي لكي تسترد سيدا محيطها.

قال سيردار بسخرية:

- وبعد أن استعادت ملكها طردتني بكل وحشية.

ليلى تمسك بيده:

- لا تذهب أرجوك فأنا السبب لخروجك من محيطك وأنا سبب غضب سيدا.

قال هيلز بغضب شديد:

- أنا لا أحبها وهي ليست بكامل قواها العقلية.

(فحب التملك ليس في قانون الحب والارتباط)

ليلى:

- انتظر معي إذا وسيردار سيعيدنا بأمان.

سيردار يقترب من هيلز ويربت على كتفه:

- اهدأ يا بني سنجد حل لمشكلتك لا تتسرع بأخذ قرارات قد تندم عليها لاحقا.

قال هيلز:

- حسنا سأنتظر ولكن عدني بأن ننتقم من سيدا ونجعلها تندم على تصرفها.

https://t.me/art_of_book

مالك يهز رأسه بالقبول للعودة، وعند عودته لمنزله تستقبله سلمى بلهفة:

- أخبرني هل يوجد خبر عن ابتنا؟

يهز رأسه بالنفي:

- لا يوجد.

ويذهب لغرفته؛ ليرتاح من تعبه، ويفكر ماذا سيفعل؟.. لقد أهمل مالك عمله وكَثُرَ غِيابه، وإذا حضر لمكتبه تشتّت ذهنه، الكُل يعلم عن حاله ويدعون له بالصبر وتخطي أزمته، وهو يفكر أين ذهبت ابنته؟.. يأتي ويطرق الباب حاملا قهوته بيده كعادته العم رشيد، وهو رجل من الدولة التي يعمل بها مالك، وهو في العقد الخمسين من عمره، يوزع قهوته على موظفي السفارة ويحكي لهم همومه؛ ليساعدوه، ومالك يحنو عليه دائمًا لكِبَر سنه، وتفرق أبنائه في البحث عن لقمة عيشهم الصعبة.

وعندما وضع القهوة وجد مالك يغط بهمه حد الاختناق، طلب منه أن يذهب لسيدة معروفة بتنبؤ الأمور الغيبية ربما يجد ضالته لديها، ويسألها هل تستطيع مساعدته في إيجاد ابنته؟!

سلمى تصلي الظهر وتدعو ربها بأن يطفىء الحزن الذي اشتعل بمنزلها وأن يدلها على ضالتها، ولا يعاقبها بفعلتها السابقة.

يدخل مالك ويسلم عليها قائلًا:

- تقبل الله منك.

- منا ومنك صالح الأعمال.. أريد الاطمئنان على ابنتي.. مر على فقدانها أربعة أشهر ولا يوجد خبر يريح قلبي.

رد مالك:

- رشيد الذي يعمل بالمكتب طلب مني أن نذهب للساحرة.. كما يقول من الممكن أن تساعدنا في البحث عنها عن طريق أعمالهم.

قالت سلمى:

- أعوذ بالله.. ماذا تقول نحن متعلمون ومؤمنون.. أنلجأ لساحرة؟!

قال مالك بضيق:

- ماذا أفعل؟!.. أريد أي طريقة أطمئن بها على ابنتي.. هل لديك حل؟

- امرك يا سيدي في الصباح سوف أحضر ونذهب.. هي موجودة بحي قديم وسأدلك على منزلها.

ينصرف رشيد بعد تناول العشاء مع مالك وعائلته.

وفي الصباح يأتي السائق ومعه العم رشيد، وتصعد سلمى وزوجها بالمقعد الخلفي، وينطلقوا لذلك الحي المشار إليه، عند وصولهم يستأذن رشيد بربع ساعة؛ ليتحدث مع الساحرة ويعلمها بخبر وصول مالك وزوجته؛ فأذن له مالك.

يحادث أم عثمان ويطلب منها أن تستقبل مديره وزوجته، فلديهم مشكلة يريدون حلها، ترحب بهم أم عثمان.

يدخل مالك وزوجته لمنزل أم عثمان المتهالك وأثاثه الرث القديم، تجلس سلمى بجانب زوجها وهي مُمسكة بذراعه؛ من خوفها، فالمكان مخيف وقذر.

يسألها مالك:

- يا سيدة أم عثمان هل تعلمين أن ابنتي اختفت من على متن السفينة ونحن نبحث عنها ولم نجدها.. إحساسي يقول أن ابنتي بخير ولم تمت.

قالت سلمى:

- أرجوك أنا والدتها أريحيني ودُليني على مكان ابنتي.

قالت أم عثمان:

- سوف أبحث عن ابنتكم.. أخبروني باسمها ويلزمني شيء من أثرها لأستعين به.

رد مالك مجيبا عليها:

- اسمها ليل مالك محمد.. والأثر سأبعثه لك مع السائق.

قالت أم عثمان بهدوء:

- اسم أم ليل وليس اسم أبيها.

تنظر سلمى بدهشة لمالك، ثم رد مالك قائلاً:

- اسم أمها سلمى.. هل تحتاجين لشيء آخر؟

- سآخذ مبلغ صغير لكي أبدأ به العمل.

مالك:

- حسنا.. ومتى يمكننا العودة لأخذ الأخبار السارة؟

- إن شاء الله أستطيع العثور عليها وخدمتك يا سيدي.

يرحل مالك وزوجته، وبداخلهما ليسا راضين عن فعلهما، ولكن هي ثقة يتعلقا بها، وسلمى متيقنة بداخلها أن معلوماتها خاطئة، فلا تعلم ما هو اسم والدة الفتاة.

تلتفي أم عثمان برشيد وتسأله عن قصة الفتاة؛ رشيد يخبرها بأنها ربما سقطت بالبحر أو أن الجن خطفها وهي نائمة فهم لا يعلمون أين هي!

قالت أم عثمان:

- أختي تعمل ساحرة وتدخل البحر.. سأذهب وأسألها لربما تساعدني.

رشيد يطلب من أم عثمان أن تعمل ما تستطيع فسيده حزين لغياب ابنته، وفي مساعدتهم ستجني المال الوفير لها ولأبنائها.

ردت أم عثمان قائلة:

- سأفعل ما أستطيع لعودة ابنته.. ولا أريد منه سوى مساعدة ابني.

رشيد:

- سأتحدث معه وأطلب منه أن يساعد عثمان في بحثه عن عمل.

تبدا أم عثمان بالذهاب لأختها وسؤالها عن عالم البحار وشياطينه، وتطلب مساعدتها بأن لديها رجل كبير يعمل في الدولة وابنته اختفت منذ أشهر ولا يعلمون شيء عنها.

سألتها أختها:

- ما اسم الفتاة واسم والدتها؟

ردت أم عثمان:

- اسمها ليلى وأمها سلمى.

تصرخ أختها وتقول:

- ليلى!

أم عثمان بتعجب:

- لماذا تصرخين؟.. نعم اسمها ليلى.

أم السعالف هي أخت أم عثمان وتعلم بقصة ليلى، ولكن ما لم يخطر على بالها بأن الفتاة والدها رجل مهم بالدولة!

أم السعالف:

- لا أعلم.. سأبحث وأسأل الجن وشياطين البحر هل سقطت بحرهم فتاة بهذه المواصفات أم لا؟

أم عثمان بلهفة:

- لا تتأخري.. الرجل وزوجته مهمومان وحزينان؛ لفقدان ابنتهما وأنا أريد خدمة من الرجل.

تبلعُ ريقًا:

- حسنا اذهبي لمنزلك.. وأنا الليلة سأدخل البحر وأرى إن سقطت فيه أو خطفت.

تذهب أختها، وتجلس أم السعالف تفكر:

- لو خرجت ليلى لوالديها ستخبرهما أنها رأتني وسوف أحبس بسبب تلك التعويذة التي عبثت بها جلفار.. إنني هالكة لا محالة.

***

هيلز يطرد الوزير:

- اغرب عن وجهي فأنت لا تعلم ماذا فعلت.

سيردار يتقدم ويقترب من سيدا:

- ماذا فعل هيلز لكي تتبعينه وتريدين قتله.

قالت سيدا:

- لم ينصت لحديثي وهرب مع فتاة الطين البشعة وغضبت من تصرفه فهو أمير ويهرب.

قالت ليلى بغضب:

- أنا فتاة من الطين وأنت ماذا؟!.. أنا لم أدعو أحد للزواج أو الارتباط بي كما فعلتي.. يوجد بالبشر شيء يسمى الكبرياء، أعتقد أنك لا تعرفين عنه شيئا أيتها الحورية.

ردت سيدا بتعجرف:

- لا يهمني كبريائك.. فأنا أميرة ويجب أن أرتبط بأمير.. وهيلز يُعجبُني فهو وسيم ويُناسبُني.

وتتفنن وتهندس بالطحالب والشعب المرجانيه وتأخذ الألوان من سطح الرخويات. لوحة فنية جذبت ليلى من جمالها، اقتربت منها وسألتها:

- ما هو اسمُك يا حورية؟

أجابت وابتسامتها على ثغرها الوضاء تشع بنورها مستقبل يزهر من بريق عيناها الجميلتين:

- هناء يا سيدتي.. كم أنتِ جميلة!.. هل تسمحين لي أن أرسمُكِ؟.. فجمالُك يُحرك مشاعري ولا يدعني أخطاه أبدًا.

يقفز هيلز أمامها ويقول:

- كم هي فكرة جميلة جدًا.. أريد منك أن ترسميها؛ كي أضع صورتها أمام سريري وأتأملها.

تنظر ليلى لها وتقول:

- ولكن هناك شرط عندي.. وهو أن ترسمي هذا الشاب الجذاب؛ لأحتفظ بصورته أيضًا.

هناء وهي تُعِد لوحة جديدة:

- عداني أنتما الثنائي بأن أعيد الرسمة وأحتفظ بها كذكرى في مرسمي.

دمعت عيناها؛ حزنا لفراق حبيبها الذي ساعدها وتحمل الصعاب في رحلتها، فهو الذي كان يهون عليها ويحميها، حملت ليلى زجاجاتها ولوحة هيلز التي رسمت له وينطلقان لكي يختما رحلتهما بالذهاب للمحيط المتوسط، وعند وصولهما للأمواج.. وعند لفةُ للحبال على خصرها همس بأذنها:

- سأعود بدونك عندما ترحلين.. سأفتقد هذا الحبل وركوب التيارات.. سأصبح وحيدًا.

ليلى تمسك بيده، وتجذبه للتيار:

- لا تعلم!.. ربما أعود يوما ما ونعيش سويا.. ربما حياة الأرض لا تعجبني وأحن للحياة معك في عالم البحار.

عندما وصلا للمحيط ذهبا لنغار؛ لتودعه ليلى وتقضي ما تبقى من أيامها بمنزله، دخلت ليلى وهيلز وشاهدا النغار مفترش الأرض؛ لقد تقدم بالعمر ولا يستطيع التحرك كثيرا، رحب بليلى قائلًا:

- أهلا بك يا ليلى.. كم أنا مشتاق لرؤيتك يا ابنتي.

ليلى وهي تضم أحد أذرعه:

- وأنا يا سيد النغار أكثر شوقاً إليك.

قالت سيدا في غضب وضيق:

- سأذهب.. ولكن تذكر يا هيلز أنك أنت من بدأ بتلك الحرب.. وستخسر كثيرا.

تجر غضبها وتفكر ماذا تحيك لهما من مصائب؛ كي تحرم هيلز من سعادته، يطلب سيردار من هيلز بالسماح له بجمع الأمراء لاجتماع عاجل يخص تغير النظام وخلع سيدا من إمارة محيطها فهي تشكل خطرا، هيلز يطلب منه الراحة ليومان ومن ثم يذهب ومعه عدد من الحراس؛ كي لا تؤذيه سيدا وهو خارج المحيط.

وفي اليوم التالي يجلس هيلز وليلى على مائدة الإفطار ويقترح عليها أن يذهبا للمحيط؛ لتكمل ما بدأته وتعود لموطنها، فهو يخاف عليها من شر سيدا، لا يعلم ماذا تخطط للانتقام منه؟!.

وافقت ليلى على عرضه، وطلبت منه أن يبقى بقصره وهي ستذهب مع الحراس للمحيط المتوسط.

رفض وأصر على مرافقتها؛ هو يريد أن يقضي جل وقته وهي بقربه، يلتقي هيلز وليلى بفتاة تجلس أمام لوحة وتحرك بيدها فرشاة للرسم

قال هيلز وهو ينظر إلى ليل:

- أنا أخاف على ليل ولست خائف منها.

سألها النغار:

- ماذا فعلت يا ليل؟!.. وماذا تبقى لك من جمع تلك التعاويذ اللعينة؟

- لقد جمعت اثنتان وتبقت الأخيرة سآخذها من واد جلفار.

- حسنا سأجلب المختلة جلفار لكي تطلبي تعويذتك منها.

- لا يا سيدي.. أريد الذهاب إليها وطلب التعويذة منها.. وأتمنى أن أرى عمروس كي أخبره بخطة للهرب.

قال النغار:

- لا أعتقد أنها ستسمح لك بأخذه.. فهي تعشقه وكل ليلة تقيم حفلة غنائية.

تنهدت ليل وقالت:

- سأتفق معه لكي يهرب.. لن أتخلى عنه وأذهب وحدي.

سألها هيلز:

- هل نذهب إلى جلفار يا ليل؟!

قال النغار:

- سنعود للإقامة بمنزلي.

تبتسم ليل وتقول:

- إنهُ منزلي أيضًا.

يمسك هيلز بيد ليل ويجذبها للخروج، وعند الباب ترى جحدر؟

تسلم عليه وتسأله ليل:

- متى عدت يا جحدر؟.. لقد فقدتك أثناء التيارات.

رد جحدر:

- بحثت عنك وبعدها سجنت لدى هيلز.

ليل تنظر إلى هيلز بتعجب وتصرخ:

- هل احتَجَزَهُ الحراس؟

قالت ليلى:

- لست أنا من تريده فهيلز يريد رؤيته.

سألتها جلفار:

- ماذا فعلتِ؟.. هل جمعتِ التعويذات التي طُلِبَت منك؟

قالت ليلى وهي تهز رأسها:

- نعم وتبقت التعويذة الأخيرة وهي من الوادي الذي تَحرُسه.

قالت جلفار:

- سأجلبها لكِ حالًا وسنخلِطها كما أمرت أم السعالف.. لا تخافي سأساعدك لكي تعودي.

قالت ليلى مبتسمة:

- سأنتظرك أنا وهيلز.

ذهبت جلفار لتحضر التعويذة ذات اللون الأخضر، وفي تلك الأثناء يأتي عمروس ويرى ليلى ويسلم عليها ويسألها:

- ماذا فعلت؟.. أخبرتني جلفار أنك تجمعين بعض التعاويذ فهي علاج لكي تعودي.

سأله النغار:

- وهل لديكَ مشكلة يا بني؟

رد هيلز:

- نعم.. سيدا كادت تقتلنا.. ولقد هربنا من محيطها وها هي تشن حربا لرفضي الزواج بها.

قال النغار في تعجب:

- قاتل الله الغيرة.. لربما غارت من ليلى.. قد ربتها خادمتها مريانا وهي امرأة غيورة وحقودة.

قال هيلز بضيق منها:

- تمادت يا سيدي بتصرفاتها فاتفقت أنا وسردار بردعها ووضع قوانين لها.

- دع سيردار يأتي وسأجمعكم مع سيدا ونحل المشكلة فهي بسيطة لا تحتاج لقوانين.. سأوقفها عند حدها يا بني لا تخف.

بأني ملكت الكون بيدي وعندما تبتعدين أكاد أختنق حاولا استجماع أنفاسي.

قالت ليلى بحزن شديد:

- ماذا أفعل؟.. دُلني.

- لست شخصًا أناني يحب نفسه وسعادته على حساب الآخرين.. لن أقول لك ابقي معي ولا تذهبي وأفعل كما تفعل جلفار مع عمروس.

تنهد ثم تابع قائلا:

- الذي يحب بصدق يا ليلى يضحي من أجل راحة محبوبته.. سأبقى على ذكراك ما حييت فأنا جسد اقتلع من داخله روحه فكيف لروح أن تحيا بلا حب؟!.. إنه غذاء القلب.. وكيف أتقبل فكرة فراقك؟!.. سأصبح كطائر جريح يبحث عن دواء وسأنتظرك كل ليلة والقمر بدرٌ على الشاطىء.

ليلى تعود معه لدى منزل النغار؛ لتنتظر موعد الرحيل، فإنه يقترب، يأتي سيردار ليُخبره أنه أخبر أمراء البحار بما فعلته سيدا وأنها تجاوزت حدودها، الجميع يشتكي من سوء جوارِها.

معدودة، وفي آخر أسبوع تقضيه ليل بمنزل النغار تتسلل جلفار للمنزل وتضع لهم بالطعام تعويذة؛ ليناموا، لقد التفت بسيدا خارج المحيط وهي من طلبت منها أن تأتي بليل فهي تريد خطفها والانتقام من هيلز، وعندما عادت جلفار وجدت جميع من بالمنزل يغطون بنوم عميق، دخل حراس سيدا للمنزل؛ ليحملوا ليل ويخرجوا بها من المحيط، وها هي سيدا تنتظرهم بالخارج لكي تستطيع الرحيل قبل أن تستيقظ ليل ويستيقظ الجميع، تنجح بالهروب وقبل وصولها للمحيط الهندي تستيقظ ليل وتقول:

- أين أنا يا سيدا؟.. ولماذا تخطفينني؟

- لم أخطفك.. أنا أعيدك كي تخرجي من محيطي بإذني وليس بالهروب كما فعلتي.

قالت ليل بضيق:

- هل أنت مجنونة؟.. لم يتبق سوى القليل وسأعود لعائلتي وتتخلصين مني ولن تري وجهي أبدا.

قالت سيدا:

- سأرغم هيلز على الزواج بي عندما يراكِ مسجونة.

ردت قائلة:

- رأيتُ حراس يحملون ليلى وهي نائمة وينبعون سيدة كأنها أميره تلبس تاجا على رأسها وتتقدم الحراس وتأمرهم بأن يعجلوا قبل أن تفيق ليلى.. ورأيتُ أيضًا جلفار تقبض منها بعض الذهب والجواهر وتقول أنا تحت أمرك يا سيدتي.

قال النغار بغضب:

- قاتل الله جلفار هي ومصائبها.. ماذا فعلت بالفتاة الطيبة؟.. ألا تدعها بحالها؟!

يصرخ هيلز ويقول:

- سأذهب وأقتل هذه الساحرة الشيطانة لأريح البحار من شرها.

يمسك به سيردار ويطلب منه الهدوء ليفكرون كيف يعيدون ليلى.

قالت درة:

- هل أستطيع مساعدتكم؟

رد النغار قائلًا:

- نعم اذهبي إلى جلفار ودعيها تأتي إلي فأنا أريد رؤيتها.

طلب هيلز من عمروس أن يذهب قبل قدوم جلفار؛ كي لا تعلم بأنهم التقوا به، فهم لا يريدون منها أن تشك بأمرهم.

وعندما عادت جلفار كانت تحمل التعويذه ذات الزجاجة الخضراء، وضعتها بيد ليلى وذهبت لتحضر إناء؛ تخلط به التعويذات وتدفنها داخل الطحالب لمدة شهراً كما أمرت أم السعالف.

انصرفت ليلى وطلبت من جلفار أن تهتم بموضوع التعاويذ، ولا تريد أي خطأ منها فهي تتوق للخروج من البحر.

وعند رحيلها تتمتم جلفار:

- أنا أكثر حورية تريد التخلص من وجهك يا ليلى فأنا أكرهك كثيرا .. متى يأتي اليوم الذي لا أراك فيه وأختلي بحبيب قلبي عمروس؟!

عمروس يدخل عليها ويقول:

- ماذا تفعلين؟.. وما هذا الذي بيدك؟!

ردت بضيق:

- لا دخل لك فهذا عملي.

قالت ليل:

- سأطلب من جلفار أن تلقمني تعويذة وأعود.

تقولها وهي تبتسم لعل ملامح الحزن التي تراها تنجلي عن وجهه.

قال هيلز:

- لم أُجرِب بيوم طعم الفراق وأحس الآن إني أتجرَعُه.

- ليتَني أستطيع البقاء بقُربَك ولكن هذا صعب فأنا بشرية وهذا ليس مكاني وأنت كائن بحري ولا تستطيع الذهاب معي.

قال هيلز بحب:

- لربما أشتاق إليكِ وأبحث عن جنية أو ساحرة لتجعلني بشري وأقيم بمنزلكم.

تضحك بصوت مرتفع وتقول:

- ما هذا الذي تقولُه؟.. هل يعقل؟!

- سأشتاق أيضًا لصوت ضحكاتك فهي لا تسمع بل تحس بالقلب وتبدأ معها رحلة سعادة لا توصف.

قالت درة في أدب:

- حسنا يا سيدي.

درة ترى جلفار تعمل بالوادي وتطلب منها الذهاب للنغار فهو يريد رؤيتها على عجلة، ذهبت وهي خائفة، وكانت تفكر ماذا ستقول للنغار؟!

- هل أدخل يا سيدي؟

ينظر إليها النغار وهو يقول باستهزاء:

- ما عرفنا جلفار وهي مهذبة وتستأذن!

هيلز ينقض عليها قائلًا:

- ما الذي فعلتِ أيتها الخبيثة وأين ذهبت سيدا؟

ردت جلفار وهي تدعي عدم الفهم:

- وما أدراني.. هل تُريدها؟

قال النغار آمرا الحراس:

- أيها الحراس أدخلوا جلفار السجن.

جلفار تصرخ وتقول:

- لا.. لا أيها العجوز لدي عمل بالوادي أرجوك لا تسجني.

ينظر النغار:

- هل تستطيعين أن تجلبي ليل؟

ردت جلفار:

- أخذتها الأميرة سيدا كيف أجلبها؟

قال النغار:

- إذن ادخلي السجن وأنت صامتة وإذا عادت ليل سأفرج عنك بشرط أن ترحلي بعيدا عن محيطي.

جلفار تصرخ والحراس يسحبونها:

- لا أستطيع الرحيل عن الوادي ماذا تفعلون بي؟

يبدأ سيردار بوضع خطة؛ لكي ينفذها، فيسأل هيلز:

- من تعرف بالمحيط الهندي لكي يساعدنا؟

وزع جحدر الحراس على جميع المحيطات؛ للبحث عن السمكة غموض وجلبها لسيده النغار، وبالمقابل سيدا تأمر ليلى بالعمل لديها جارية؛ فهي تريد أن تذلها وتهينها قدر استطاعتها.

- ليلى: ما تفعلينه ليس من مصلحتي.. أريد العودة للأرض أرجوك أن تفهمي بقائي بالبحر لن يفيدك.

قالت سيدا بغرور وعجرفة:

- أيتها الجارية قومي بعملك ولا تجادليني فأنا سيدتك والتي تأمرك.

قالت ليلى بغضب:

- ماذا تريدين مني؟

قالت سيدا وهي تقصد السخرية من ليلى وإذلالها:

- مشطي خصل شعري.. اجعلي مني جميلة.

قالت ليلى في استسلام وضيق:

- حسنا سأفعل ما تأمرين به ولكن أعيديني للمحيط قبل انقضاء الشهر.

أو تجملها بشعة، صففت ليل شعر سيدا ورفعته لها، ووضعت عليه تاج من اللؤلؤ، ومن ثم وضعت عليها المساحيق؛ لتبدو أجمل مما كانت، وسحقت بعض اللؤلؤ لتعطي لمعة في وجهها، وألبستها العقد الذي نظمته لها، وفستانا جميلا أزرق مما جعل منها أميرة ذات جمالا يبهر من يراها.

نظرت سيدا للمرآة وصرخت بتعجب:

- هل هذه أنا؟.. لم أكن جميلة هكذا في السابق.. ماذا صنعتي يا ليل كي تغيريني.

ردت ليل وهي تبتسم وفخورة بما صنعت:

- وضعت بعض الحلي والمساحيق.. فنحن البشر نهتم بجمالنا ونضع تلك الأشياء لكي نزداد رقة وأنوثة.. أعدك يا سيدا لو خرجت للأرض سأجلب لكِ أجمل من هذه الحُلي وسترين كيف سأهتم بك.

قالت سيدا:

- وما هو الشيء الذي يجعلك تأتين من أجل رؤيتي وأنتِ خارج البحر؟

- سنصبح صديقات وأنا لا أترك أصدقائي.. أرجوك يا سيدا دعيني

سألتها جولسية:

- ماذا حصل؟.. لماذا تبكين؟

- خطفني سيدا من المحيط المتوسط وتريد أن تجعلني خادمة لديها وأنا أريد الذهاب بعد اكتمال التعويذات.. فلم يتبق سوى القليل.

قالت جولسية بتعجب:

- لماذا فعلت ذلك يا ترى؟!

ردت ليلى بضيق:

- إنها تريد الزواج بالأمير هيلز وقد رفض الارتباط بها.

جولسية بوجه حزين:

- وما ذنبك أنت لتخطفك.. اجلسي يا صديقتي سنجد حل لمشكلتك.

قالت ليلى بلهفة:

- أريد الهرب من هنا.. هل تستطيعين مساعدتي؟

- أخاف أن تسجنني سيدتي سيدا.

https://t.me/art_of_book

أتى جحدر وبيده السمكة غموض، دخل على سيده النغار وأخبره أنه وجد غموض وهي تبيع مجوهرات بالمحيط القريب لهم.

قالت غموض:

- ماذا تريد مني يا سيد نغار؟

رد النغار قائلًا:

- أريدك أن تساعدي ابنتي لقد خطفتها سيدا.

سألته السمكة غموض:

- هل لديك ابنه يا سيدي؟!.. فلم أشاهدها من قبل.

رد النغار:

- هي فتـــاة بشـــرية وقعت بمحيطنا وأنا أراها مثـــل ابنتي وأقدم المساعدة لها لكي تعود إلى الأرض.

قالت غموض:

- وكيف أساعدها.. أنا أخاف من طيش سيدا.

يرتاح؟.. اقترب من سيردار وأخبره أنه يريد أن يذهب ويقابل سيدا لربما يرى ليل، أشار عليه سيردار بعدم الذهاب فهو يخاف أن تغضب وتؤذي ليل، نام الجميع ماعدا هيلز فهو ينتظر بفارغ صبره.

استيقظت غموض وذهبت لتبحث لها عن طعام، وسيردار يجلس بجانب هيلز ويسأله:

- لماذا لم تنَم؟.. ما خطبُك؟

رد هيلز بحزن يعصر قلبه:

- كيف أنام وحبيبتي ليست بجانبي؟!

قال سيردار:

- وكيف ستحتمل غيابها وعودتها لوطنها؟!

رد هيلز:

- هناك ستكون بين أهلها وأحبتها فلن يؤذيها أحد ولكن البحر مخيف بالنسبة لليل فهو عالم آخر بعيد عنها.

https://t.me/art_of_book

ب غموض وتطلب من سيردار أن يعيد ما قاله؛ كي لا تتلعثم
بخطئها وتكتشف سيدا خيانتها فتحبسها، أعاد عليها سرد الخطة من
جديد والذهاب إلى سيدا وعرض بضاعتها كعادتها والنظر بأرجاء القصر
والبحث عن ليلى، وإن وجدتها تحاول الاختلاء بها وتطمئنها أنها
ستنقذها، وأن هيلز بالخارج ينتظرها، ومن ثم تبحث عن جولسية
حارسة الوادي.

سألته غموض:

– بماذا أخبرها؟

رد سيردار بجبيا:

– دعيها تبحث عن عذر لتخرج من المحيط وأخبريها ماذا تفعل.

غموض تودع هيلز وسيردار وتدخل للمحيط، ها هي بقصر سيدا
تنتظرها ببضاعتها كعادتها، سيدا تقبل عليها وهي متعجرفة وتقول:

– ماذا لديك أيتها السمكة؟

– أنا غموض يا سيدتي ولدي مجوهرات صنعت من الياقوت
والمرجان وأحجار الزمرد ولا تليق إلا بالأميرات.

سيدا تأمر جاريتها:

– احضري ليل كي تساعدني في شراء الحلي.

حضرت ليل برفقة الحورية بنان، رأت غموض ليل وألقت التحية
عليها، أمرتها سيدا بالجلوس وشِراء الحُلي التي تُناسِبُها؛ فذوق ليل نال
إعجابها، تخرج سيدا برفقة بنان؛ لتنجز بعض الأعمال.

ليل تتفحص بضاعة غموض بدهشة، أعجبَها الحُلي فهي لم ترَها
بالأسواق من قبل وتسألها ليل:

– كيف صنعت تلك المجوهرات الجميلة يا غموض؟.. فأنتِ
سمكة ليس لديك أذرع.

تضحك غموض وتخبرها:

– أنا يا سيدتي أبيعها فقط.. من يصنعها هم مجموعة من الحوريات
والرخويات فهم سلسين بصنعها وأنا سريعة بحكم أني سمكة أستطيع
أن أجوب البحار بسرعة وأعيد لهم ما جمعته من مجوهرات أخرى.

ترد على نفسها:

- نعم يستطيع فهو يعشقني ويخاف علي من سبدا وهو يريدني أن أخرج من البحر.. كم هو رائع أن تجد شخصا يحبك ويكون ملاكك الحارس الذي يفضل راحتي وسعادتي على حبه وتعاسته لم أرى هذا بين البشر.

تلتقي غموض بجلوسية وتطلب منها أن تخرج خارج المحيط، فهناك من ينتظرها بالخارج، تسأل جولسية:

- متى أخرج؟.. ومن ينتظرني؟!

ترد غموض وتقول:

- هيلز بانتظارك وفي المساء ابحثي عن عذر للخروج.

قالت جولسية:

- حسنا سأذهب لرؤيته.

تودعها غموض وتذهب وتطلب منها أن تجتهد بمساعدة ليل.

وبهذه الأثناء تسكب ليل المخدر الذي أعده سيردار وتخرج قبل أن يراها أحد، وها قد وزع الطعام بشكل جميل، والجميع يستلذ بطعمه، وليل تأكل من الخضروات فهي لم تضع بها شيء وتذهب لغرفتها لتنام.

ماذا يحصل؟.. ها هم يتساقطون على الأرض وينامون بعمق، تهرب ليل على عجلة وإذ بجولسية تنتظرها خارج القصر، انطلقتا بسرعة للوصول للحدود وإذا بهيلز ينتظرها.

تراه ليل من بعيد وتسرع لملاقاته، وهو أيضا يسرع لضمها لأحضانه فهو لم ينم منذ خطفها، كأن نارا أوقدت بجوفه، نعم نار الخوف والقلق من أن يصيبها مكروه، ونارا أخرى من الشوق واللهفة لرؤيتها، يمسكها بيدها ويهرب بها للخارج وكأنه لا يوجد معه أحد، فهو لا يرى سوى ليل وسيردار يتبعه هو وجولسية، ويصعدون للتيارات لكي تبعدهم قبل أن تفيق سيدا وتقلب المحيط من غضبها، عندما اقتربوا من المحيط جلس هيلز على صخرة يريد التحدث مع ليل، ويأمر سيردار والحراس بالدخول وإبلاغ النغار بأنهم قد عادوا سالمين.

يتأمل هيلز ليل ويُمسك بيدها:

- لقد خِفتُ عليكِ كثيرًا واشتقتُ لرؤيتك أكثر وأكثر.

قالت جولسية:

- إنها تغار منها.

قال سيردار:

- انظري يا جولسية أريدك أن تذهبي لرؤية ليلى وتعطيها هذه اللفافة لتضعها في العشاء وبطعام الحراس خاصة لينامو وتأخذي موعدا منها بالخروج ليلا بعد أن تطمئن بأنهم يغطون بنوم عميق.

قالت جولسية بأدب:

- حسنا يا سيدي سأفعل ما تأمرني به.

جولسية تقابل ليلى بالحال وتخبرها بما أمره سيردار، وأن تخرج لهم ليلا؛ لتهرب فالجميع يأكل من طعام القصر وسينام الحراس الذين بالحدود.

ليلى تأخذ اللفافة وتطلب من جولسية مرافقتها فهي تخاف أن تؤذيها سيدا.

جولسية:

- ومن يحرس الوادي يا ليلى؟

قالت ليلى بغضب:

- أريد رؤية جلفار فأنا غاضبة منها.

قال هيلز:

- إنها قابعة بالسجن لحين عودتك.

- سأستأذن سيدي النغار لرؤيتها.

يذهب هيلز مع ليلى؛ لرؤية جلفار، تواجهها ليلى بالسواد الذي تكنه جلفار لها، ولماذا كل هذا الحقد الدفين بدون أن تؤذيها؟!

جلفار:

- منذ دخولك لمحيطنا ونحن لسنا بخير فكل من يراك يحبك وأنتِ فتاة من الطين لماذا يحبونك أخبريني؟

- ما لا تعلمينه يا جلفار أن الطين هو شيء رطب وليس قاس.. رائحته جميلة ترمز للنبات وللأمطار وأنا خلقت منه لكي أكون الحياة التي تنعش الكائنات الحية.

قالت جلفار بنبرة حزن:

- حسنا سأدعه يذهب.

ليلى تبتسم وهي سعيدة وتقول:

- الحمد لله لقد حلت جميع مشاكلي ولم يتبق سوى الرحيل.

قال النغار:

- ستذهبين يا ابنتي ولكن لن ننساك لقد عشت آلاف السنين لم أر أحد بطيبة قلبك.

هيلز بحزن شديد ولا يكاد يسمع صوته:

- لندعوا الله أن يصبرنا على فراقها وأن يعيننا على إكمال الحياة بدونها.

ليلى:

- لن أبتعد كثيرا.. سأزوركم لو اضطر الأمر لدخول البحر.

قال سيردار:

- هيلز لا يقصد رؤيتك يا ليلى.. هو لا يشعر بالأمان سوى بقربك.

تفكر أم السعالف بطريقة ما؛ لكي تنقذ نفسها فتصنع تعويذه لتجعل ليل تنسى ما حدث لها؛ فلا تتذكر شيء مما حصل معها بالبحر، وبهذا لا تستطيع ليل ذكر اسمها أو أنها رأتها، ولكن هي لا تعلم مدى مدة التعويذة!.. وكم من الوقت لكي تنسى!.. أكثر ما يهمها هو أن تختفي قبل معرفة أحد بقصة ليل؛ لا تريد أم السعالف أن تزج بالسجن، وفي الصباح يأتي رشيد لأم عثمان؛ ليطمئن ماذا فعلت بموضوع سيده؟!

سألها رشيد:

- كيف حالك يا أم عثمان؟.. ماذا عملتِ؟.. هل وجدتِ الفتاة؟

- سألتقي الليلة بأختي وستخبرني بماذا فعلت.

وعندما حل المساء أتت أم عثمان لأختها وسألتها:

- هل التقيت بشياطين البحر؟

ردت أم السعالف:

- الليلة سأدخل البحر وأخبري سعادة السفير أنه سيلتقي ابنته قريبا.

سألت أم عثمان بفرحة:

- كيف يراها؟.. هل وجدتها؟!

- سنذهب معي ويعلم جلفار.

عمروس يصرخ ويقفز من فرحته:

- هل ما تقولينه حق يا ليلى؟!

يؤكد له هيلز ما سمعه، ويخبره بأن جلفار ستجعله يذهب، جلفار تقترب من عمروس وتودعه وهي تقول:

- لن أنساك ما حييت.. لقد أحببتك وتمنيت العيش معك ولكن أنت لا تريد الحياة بالبحار.

قال عمروس:

- أنا يا جلفار إنسان وحياتي بين البشر.. أنت أيضا لا تستطيعين العيش على الأرض فكل كائن له تركيبته التي فطر عليها.

قال هيلز مؤكدا:

- كلام عمروس صحيح فكل شخص له حياة متكيف عليها.

ليلى:

- لقد اقترب رحيلنا يا جلفار.. أرجوك بأن تهتمي بنفسك وتكوني شخصا طيب القلب وتبتعدين عن السحر وأعماله.

قالت ليلى:

- هل معنى هذا أني سأعود للبحر أم ماذا؟.. أجيبني.

ردت جلفار:

- ربما تعودين أنت عندما لا تستطيعين الابتعاد.. أو ربما يخرج هو للبحث عنكِ.. ما أراه بينكما لا يبشر بفراق طويل.

يسحب هيلز ليلى بيدها ويطلب منها أن تذهب معه لمكان بعيد عن الأنظار.

- اذهبي قبلنا يا جلفار لانتظار قارب الساحرة ونحن سنلحق بكم.

قالت ليلى:

- أين نذهب؟.. إني أخاف.

قال هيلز:

- لا تخافي فأنا حريص على عودتك.

يذهبون لكهف كبير تكثر به الأصداف وقناديل البحر المضيئة، وهناك أحجار كريمة ملونة، عندما رأته ليلى بهرت بالمنظر العجيب،

رد هيلز:

- في عرفكم البشري كما قرأت في قصص الحب تعتبر خطبة.. وفي عرفنا كخيلان بالبحر يعتبر زواج ولا يجوز الارتباط بغيرك

تريد ليل خلع الخاتم وهيلز يمسك يدها ويمنعها.

- هل تظنين أني سأعشق فتاة غيرك يا مجنونة؟!

ليل وهي تنظر للأسفل وتطبع قبلة على خد هيلز بخجل وتقول له:

- إنها قبلة وداع لحين لقائك مجددا على شاطىء البحر.. سأشتاق إليك كثيرا وللهو واللعب بين الأمواج وللمحيط ورؤية الشعب والأسماك.. سأحكي ما رأيته لإخوتي.

قال هيلز:

- هل ستحكين لهم عن حبنا؟

- لا أستطيع.. سيقولون أني مجنونة.. كيف أحب كائن غير بشري؟!

قال هيلز:

- دعيهم يقولون ما يشاؤون.. الحب كالمطر إذا هطل على أرض جعلها تزهر وتصبح حدائق غنّاء، وإذا قبل بالفراق فتصبح تلك

أنين

فالأحجار تلمع إذا اقتربت القناديل منها وهي تتراقص وكأنهم راقصات باليه على أنغام هادئة تحدثها بعض التيارات، فرحت كثيرا وأخذت تجمع بعض الأحجار واللؤلؤ ثم قالت:

- سأعتبر هذه ذكرى منك.

قال هيلز:

- أريد الزواج بك قبل ذهابك.. فهل تقبلين هذه الخطوة؟

ليل بنظرات متعجبة:

- وكيف أتزوج وأنا هنا وبعيدة عن عائلتي؟!.. لا أستطيع.

وضع هيلز في إصبعها خاتم من الزمرد الأزرق، محفور عليه اسمه، طلب منها ألا تخلعه لتتذكره وتعود إليه ويتمنى أن تكون زوجته، فوضعه هذا الخاتم بيدها يمنعه من الارتباط بأي حورية، تنظر ليل بخجل للخاتم وتقول وهي تبتسم:

- هل أعتبر هذه خطبة؟

https://t.me/art_of_book

قالت جلفار:

- هل ودعتما بعضكما يا هيلز؟

رد هيلز:

- لم يكن وداعا هو لقاء وستكون بعده لقاءات عدة على شاطىء المحيط.. هل تظنين أني أستطيع العيش بدونها؟

قالت ليل:

سآتي كل شهر وأرى هيلز وأتحدث معه.. نريد أن نتوصل لطريقة لنعيش مع بعضنا البعض.. هل تستطيعين مساعدتنا يا جلفار؟

ينظر عمروس لليل ويسألها:

- هل أنتِ جادة؟!.. كيف تبحثين عن طريقة وأنتِ بشرية وهو بحري.

ردت جلفار:

- ليس بيدي شيء.. دعونا نسأل أم السعالف لعلها تساعدكما.

- موجود داخل كل كائن حي خيرا يدفع أن شرا يعمل به.

أم السعالف تسأل ليل:

- هل أنت جاهزة للرحيل؟

ليل تنظر لهيلز بحزن وتقول:

- نعم يا سيدتي ها هي التعاويذ التي طلبت مني.. وجلفار من خلطتها وحضرتها.

تنظر أم السعالف لجلفار:

- هل صحيح أنك فعلت؟

- نعم يا سيدة أم السعالف فطلباتك أوامر.

- أحسنت ولا تعيدي ما عملت به من عبث.. فأرواح الناس لا يعبث بها.. ما هو ذنب الفتاة أن تحرم من والديها؟!

تشير أم السعالف لسائق القارب بأن يساعد ليل للصعود داخل قاربه، ولكن هيلز يمسكها بكلتا يديه ويدفعها لحضنه وهو يودعها ويذكرها بلقائه، تضم ليل جلفار وتودعها وتطلب منها أن تزور النغار وتهتم به، يُودع عمروس جلفار وتحضنه وتقول له:

- لم أحب من قبل رجل سواك.. إذا شئت ابقى معي.

برد عمروس:

- لا أستطيع فهذه ليست حياتي.. سآتي لرؤيتك كلما رحلت بالسفينة.

ليل تأخذ من هيلز صورته التي رسمتها هناء وتقول:

- سأعلقها داخل غرفتي لأتذكرك.

هيلز يسألها قائلًا:

- هل من المعقول أن تنسيني؟

- مستحيل يا هيلز فالقلوب إذا أحبت لا تنسى.. سأراك قريبا.

يصعدون للقارب، ويبدأ هيلز بالنظر واللحاق خلفهم فهو لا يحتمل رؤيتها تغادر ويتركها خلفه، وعندما وصلت للميناء ترجلوا من القارب وطلبت أم السعالف من عمر أن يشرب من التعويذة بمقدار ملعقة وينتظر لحين بزوغ الفجر ويعود لمنزله.

أخبريني كيف أنام وأستيقظ بدون أن أراكِ؟.. أخبريني كيف أتناول طعامي وأنت لست أمامي؟.. أخبريني كيف يكون يومي وأنت غائبة عن كوني؟

تذرف ليلى دموعها، ويبدأ الحزن يتسلل لقلبها الضعيف؛ فتقبض على يده وتقول له:

- سأعود.. صدقني سأعود.

تخبرهم جلفار بأن أم السعالف قد اقتربت وها هو قاربها.

ترى ملامح الفرح على وجه عمروس يكاد يقفز من السعادة، هيلز لديه مشاعر مختلطة ما بين خوف على ليلى من وجودها بالبحر أو فراقها الذي لايعلم إلى متى سيطول؟!.. ليلى تشعر بالفرح؛ لقرب لقائها مع أهلها، وتشعر بالحزن لأن البحر أصبح جزء من حياتها وتكوينها البشري.

تقترب منهم أم السعالف وتلقي التحية عليهم، ترد جلفار عليها وتأخذ منها مجموعة الأعمال التي ستعملها طيلة شهر كامل.

ليلى تهمس لهيلز وتقول:

- لماذا تخلصن حارسات الوادي لأم السعالف؟؟

سألت ليلى بتعجب:

- وما هذه التعويذة الأخرى؟!.. من أين أتيتِ بها؟

أم السعالف بنظرات خبيثة:

- يا ابنتي هذه تعويذة صنعتها لك كي تعيد جمالك فقد تأثر من ملوحة البحر.

ليلى بكل حُسن نية وابتسامة بريئة:

- حسنًا سأتناولها.

وبعد نصف ساعة تغيب عن وعيها وتسقط على الأرض، تتركها أم السعالف بجانب قارب على الشاطىء وتهرب، نعم هربت ولكن ماذا فعلت بالفتاة المسكينة؟.. وما هي التعويذة الأخرى؟

***

عندما يعود هيلز وجلفار للمحيط؛ يكمل هيلز طريقه ويودع النغار، يطلب منه سيردار مرافقته هو والحراس؛ يخاف عليه من سيدا، لم يمانع هيلز، وذهب ولم ينظر خلفه من حزنه، فهو يشعر بأن البحر ضاق عليه ولم يعد كما كان يعرفه.

كان سيردار يوجه الحراس بأن يهتموا بهيلز أثناء ركوب الأمواج؛ فهو كثير الشرود.

عندما وصل هيلز لمحيطه وجد سيدا تنتظره ومعها عدد كبير من الحراس، عندما رأت هيلز انقضت عليه وسألته:

- أين هي حبيبتُك؟.. لماذا اختطفتَها من محيطي؟

أجابها هيلز:

- اغربي عن وجهي أيتُها المختلة.

لقد نطق وبداخلهِ غصة لم يكد يخرج صوته منها.

ثم تابع قائلًا:

- ليلى رحلت للأرض وتركت لكم محيطكم وقذارة قلوبكم.

سيدا تصدم بقوله وتذهب لسيردار وتسأله:

- هل ما يقوله صحيح؟

رد سيردار مجيبا:

- نعم صحيح.. لقد عادت فجر اليوم ولم ينطق هيلز بكلمة منذ رحيلها سوى الآن عندما انفجر بوجهك.

المسكينة فاقدة لوعيها، يخاف في البداية من الاقتراب فهو لا يعلم ما حالها؟!.. يحاول أن ينادي عليها ويدفعها بيده:

- استيقظي.. هيا.. من أين أتت تلك المصيبة؟.. وما قصة هذه الفتاة؟.. وكيف سقطت بجانب قاربنا؟.. ماذا أفعل؟.. وأين اذهب؟

لم تمر دقائق إلا وعبد القوي والده يسأله:

- ماذا تفعل يا صابر؟

- انظر يا والدي وجدت فتاة بجانب القارب.. لا أعلم هل هي ميتة أم نائمة أو ما خطبها؟!

قال عبد القوي:

- انتظر وسأراها.

يقترب منها، يرفع رأسها، يغسل وجهها بماء معه، وإذا بها تفتح عيناها قليلا وتنظر بثاقل وتعود لفقدان وعيها، طلب عبد القوي من حرس السواحل بإحضار سيارة إسعاف؛ فلديه فتاة مصابة، وما هي سوى دقايق وتأتي الإسعاف وتحملها ويذهبون بها للمستشفى، سألهم الطبيب قائلا:

- ماذا بها ابنتك يا عم؟

أجابه عبد القوي:

- ليست ابنتي فلقد وجدتها مُلقاة بجانب قاربي.

قال الطبيب:

- انتظروا بالخارج لحين الكشف عليها.

بدأ الطبيب بفحص ليلى، وعمل بعض التحاليل لها وشعر بالغرابة من لون بشرتها.. تكاد تكون شبه محترقة.. هو لا يعلم أنها مكثت بالبحر شهوراً، وبعدما اطمئن عليها وضع لها بعض المحاليل المقوية لجسدها الضعيف وانتظر عدة ساعات حتى أفاقت.

سألتها الممرضة:

- هل تذكرين شيئًا من ليلة البارحة؟

ليلى تنظر لها وترد:

- لا.. لا شيء.

https://t.me/art_of_book

تحاول رفع رأسها والنظر حولها:

- أين أنا؟

- في المستشفى.. لقد وجدك رجل بجانب قاربه ملقاة على الشاطىء.

تمسك رأسها وكأنها تلقت ضربة قوية عليها:

- لماذا لا أتذكر شيء؟

الطبيب يأتي للاطمئنان عليها ويسألها:

- كيف هي صحتك؟

ترد عليه قائلة:

- بخير ولكن لا أتذكر شيء وأين هي والدتي ووالدي؟

سأل الطبيب:

- ما هو اسم والدك لأتصل به ويحضر.

ردت ليل:

- هو سفير المملكة العربية.. اسمه مالك بن محمد.

وتبدأ المستشفى بحالة استنفار؛ فابنة السفير المفقودة تعود، يبدأون بتغيير غرفتها والاهتمام بتغيير ملابسها، ومن ثم الاتصال بالسفارة وإبلاغها بأن الفتاة قد عثر عليها وهي موجودة بأحد الأجنحة، لم تمض دقائق إلا ومالك وزوجته وأبناؤه وزوجات الأبناء يسرعون باتجاه غرفة ليل والسؤال.. أين هي؟

يطمئنهم الطبيب بأن ابنته بخير وكانت تعاني من بعض التسمم؛ لتناولها مشروب غريب وقد عمل لها اللازم.

قال مالك بلهفة:

- أريد رؤيتها.. هل أستطيع؟

رد الطبيب:

- نعم تفضل معي.

يدخلهم الطبيب على ابنتهم وما إن تشاهدها سلمى حتى تنهار وتبكي وتمسك بها زمردة وتصبرها:

- سيدتي ليل بخير فلا تبكي.

https://t.me/art_of_book

قالت ليلى:

- لا أتذكر يا أخي سوى إني كنت مع صديقتي رجاء وبعدها عدت لغرفتي ونمت واستيقظت اليوم وأنا بالمستشفى.

سألتها سلمى بتعجب وقلق عليها:

- ما هذا؟!.. ألا تتذكرين أين كنت طيلة تلك الأشـــهر؟!.. لقد تعبت بعد فقدانك.

ردت ليلى:

- أمي أي أشهر تتحدثين عنها؟.. لقد فقدت وعيي ولم أستيقظ إلا الآن.

قال مالك:

- لا يهم يا ابنتي كل شي سيعود ولكن الأهم هو سلامتك.

وليد يسأل الطبيب ويقول:

- هل نستطيع أن نأخذها معنا للمنزل؟

https://t.me/art_of_book

قال الطبيب:

- تحتاج للراحة لمدة ثلاثة أيام فجسمها هزيل ويحتاج لبعض الأدوية وكذلك بشرتها تحتاج للدهان فهي شبه محترقة.

قال مالك:

- حسنا ولكن سأضع حراس على غرفة ابنتي فأنا لا أعلم أين كانت طيلة تلك الأشهر!

يعود مالك وأبناته للمنزل، وتبقى سلمى وزمرة عند ليلى لخدمتها.

سلمى:

- لن تغيبي عن ناظري مرة أخرى.. كدت أجن من فكرة فقدانك.

ليلى تبتسم وتقول:

- هل ستذهبين للجامعة معي؟

ردت سلمى بحب:

- لو اضطر الأمر سأوصلك وعند العودة سآتي وآخذك.. لن أتركك ما حييت.

ليلى تضع رأسها على كتف والدتها:

- لقد اشتقت إليك يا أمي.

- وأنا يا ابنتي كنتُ أموت باليوم ألف مرة لغيابك.

قالت زمردة حامدة:

- الحمد لله أنها عادت.. يا ستِ ليلى أنتِ لا تعلمين كيف كان المنزل بدونك!

***

عمر يعود لمنزله وتصرُخ والدته:

- أين كنتَ يا ولدي؟!.. بحثتُ عنكَ بكل مكان.. كدتُ أفقدُ عقلي.

عمر يُقبلها ويبكي:

- لقد غرقتُ يا أمي بأعماق البحر.

تصرخ وتقول:

- غرقت.. وكيف؟.. ومن أنقذك يا ولدي؟

فتخبرها أختها أم عثمان بأن السفير وجد ابنته وهي ترقد في المستشفى.

تصرخ أم السعالف:

- كيف وجدها ومتى؟

- لقد وجدها ملقاة على الشاطىء بجانب القوارب وأنقذها الصيادون وهي بحالة غريبة.. الأطباء قالوا أنها تسممت ويبحثون عن الفاعل ومن خطفها.

أغلقت أم السعالف الهاتف، وبدأت بجمع ملابسها وحجز رحلة طيران؛ فهي تريد الهروب من البلاد بأكملها.

***

يبدأ هيلز بتفقد أحوال محيطه وحل بعض المشكلات التي واجهها المحيط بغيابه، يحاول أن يشغل نفسه؛ كي لايفكر بليلى.. ولكن دون جدوى فهو مشغول بها ويتسائل بينه وبين نفسه:

- ماذا تفعل الآن.. هل التقت بعائلتها؟

أفكاره مشتتة لا يستطيع العمل بتركيز كالسابق، بدأ يحب الوحدة، ويجلس أمام صورتها، ويتحدث معها ويخيل له أنها أمامه.

***

ليلى تعد نفسها للخروج من المستشفى، وعند تجهيز حقيبتها تأتي الممرضة ببعض الأشياء تحملها بيدها: صورة وبعض الأصداف والأحجار الملونة، تسألها ليلى باستغراب:

- ما هذا؟!.. ولماذا آخذها؟

ردت الممرضة وقالت:

- لقد كان معك وأنت تدخلين المستشفى.. إنها تخصك يا ليلى.

تفتح ليلى الصورة وتجدها صورة لكائن بحري غريب لا تعرفه، والأصداف والأحجار لا تعلم من أين أتت بها؟!.. وخاتم بيدها لا تعلم كيف وصل لإصبعها؟!.. هي تفكر أين كانت وماذا حصل لها؟.. لا تتذكر شيء، تكاد رأسها تنفجر من كثرة التساؤلات، لم يكن يجول برأس مالك وزوجته سوى سلامة ابنتهما وعودتها للمنزل.

قال مالك واعدا:

- أعدك يا أم عثمان بمساعدتك وفتح محل تقتادين منه أنت وأبنائك ووظيفة تغني ابنك.. عودة ابنتي لأحضاني لا تُقدر بثمن وتمنيت من أختك أن تكون معك كي أشكرها وأكافئها وتشرح لي كيف بقيت ابنتي داخل البحر دون أن تموت من الغرق.

ردت أم عثمان قائلة:

- هناك يا سيدي في البحر جن وشياطين أخبث من شياطين الأرض وأقوى والعياذ بالله.

تنفث داخل صدرها وتتمتم:

- دستور.. اللّهم اجعل كلامنا خفيف عليهم.. فهم يساعدون السحرة لصنع تعاويذ تستطيع العيش داخل الماء فهذا عملهم.

قال مالك:

- أعاذنا الله من تلك الشياطين.. إن رشيد سيتواصل معك.

تودعهم أم عثمان، وتعطيها سلمى مبلغ كهدية، وتطلب منها إذا أرادت شيء أن تتصل برشيد وتطلبه ولا تعود للسحر وإيذاء البشر.

انصرفت أم عثمان وهي تدعو لهم

بالخير؛ لعطائهم الكريم.

***

تدخل مروة على ليلى وتخبرها:

- هناك سيدة أتت وتقول أنها من ساعدتك بالخروج من البحر وهذا يعني أنك كنت تعيشين بأعماق البحر طول تلك المدة ألا تذكرين؟!

ليلى تنهض من سريرها مسرعة؛ تريد رؤية تلك السيدة، تمسكها مروة ثم تقول:

- لقد غادرت.

قالت ليلى:

- أريد رؤية السيدة.

ردت مروة:

- ما رأيك أن يوصلنا السائق فهو يعرف منزلها ونذهب إليها أنا وأنت دون أن نخبر أحدا.

قالت ليلى:

- أتمنى ذلك.

تنزل ليلى مع مروه أمام والديها، يسألها والدها:

- إلى أين أنتما ذاهبتان؟

ردت مروة:

- سنذهب للتسوق فليلى تريد أن ترى الناس وتشتري بعض الملابس.

قالت سلمى وهي تحاول النهوض:

- انتظروني سأذهب معكم.

قالت ليلى:

- لا يا أمي انتظري مع والدي لا تخافي فمعي مروة والسائق سيوصلنا وإذا أصابك القلق اتصلي وسنرد عليك.

الام توصي مروة عليها قائلة:

- لا تغيب عن ناظريك يا ابنتي ولاتتركيها وحدها لم أصدق بعد رؤيتها أمامي.

https://t.me/arabic_book

تشير الفتاة قائلة:

- هناك تعمل.

تدخل مروة وتستأذن السيدة بالتحدث معها، أنت أم عثمان مسرعة، وتنتقل بهم لغرفة أنظف، فتقول لها ليلى:

- يا سيدة أم عثمان أنا ليلى ابنة السفير.

قالت أم عثمان:

- حمدا لله على سلامتك يا ابنتي.. كيف حالك؟

ردت ليلى:

- أنا بخير.. أردت أن أسألك أين هي أختك؟

أجابتها أم عثمان:

- يا ابنتي هي لم تخبرني بكل شيء فقط قالت لي طمئني الرجل وزوجته بأنهم سوف يرون ابنتهم قريبا.. وكان لبلتها موعد دخولها للبحر فهي تدخل كل ليلة يكون القمر فيها بدرا.

عندما قالت هذا أحست ليل أنها كانت تنتظر مثل هذا اليوم ولكن كيف لا تعلم فعقلها لا يرشدها بل يرسل إليها إشارات، انصرفت وهي حائرة.. مَنْ سيُرشِدُها؟

***

مرت الأيام والليالي، وعادت ليل إلى جامعتها ولأصدقائها، تغيرت كثيرًا وكانت هادئة جدا، لم تكن تلك الفتاة المرحة، هناك تغير بشخصيتها أحسه جميع من حولها.

***

هيلز سعيد بهذا اليوم فهو سيذهب للشاطىء ويرى حبيبته بعد مضي شهر على فراقهما، لا يعلم ماذا يرتدي؟..

ولا يعلم ماذا يقول لها من حديث شوقه إليها، فاق تصوره، وتلعثم بمشاعره.. لقد هزل جسمه، لم يعلم أن الفراق ألمه أشد من المرض، فهو يأكله كما تأكل النار حطبها، كان يعد الساعات والدقائق فقط ليرى ليل سويعات، وكان قانعا وسعيدا بها لعلها تروي عطش فؤاده، سيخبرها أنه جبان عندما ظن أنه يستطيع أن يعيش بدون حبيبته، وهو ينتظر ليل بلهفة وترقب أحس أنه أتى قبل موعده، فانتظر يراقب الشاطىء وينظر بوجوه

المارة عن بعد وهو داخل البحر، يخرج رأسه ثم يعيده بترقب في كل مرة، مضى الوقت ببطىء ولم تحضر ليل، أوجس بقلبه خيفة، لماذا تأخرت يا ترى؟.. ما الذي يمنعها من القدوم وهي من أجزمت بوعدها؟.. بدأ الناس بالتناقص والعودة لمنازلهم، الوقت تأخر وعاد هيلز لقصره وهو حزين، يكاد ينفجر من حزنه وخيبة أمله.

ليل بعالم آخر لا تعلم ما جرى لها؟!.. فهي تبحث في ذاكرتها عن خيط يوصلها لضالتها، بين يديها صورة لا تعلم كيف حصلت عليها؟.. وأصداف ولآلئ لا تعلم من أين جمعتها؟.. وخاتم مكتوب عليه اسم هيلز ولا تعلم من هو؟!.. هناك ما يؤرقها ويقلق راحتها، تدخل ريم زوجة أخيها صالح وهي تحمل بعض الأزياء لتريها لليل وتشغلها عن التفكير.

قالت لها ريم:

- ليل.. ما هو رأيك بهذه الحقيبة لو ألصقنا عليها الأصداف لتغير شكلها للأجمل.

ليل تقفز لتقف أمام ريم:

- أريد الذهاب للبحر.

قالت ريم بتعجب:

- الآن!.. تأخر الوقت.

ردت ليل بضيق:

- لنذهب يا ريم أكاد أختنق.

ذهبت ريم معها وجلستا على الشاطىء، كانت تنظر ليل للبحر وسكونه وجمال أمواجه الهادئة تتأمل القمر واكتماله، تخبر ريم:

- أنا نحرم أنفسنا رؤية القمر.. لماذا لا نأتي كل شهر ونتأمله؟!

ردت ريم بفرح:

- لا مانع لدي.. سآتي معك.

ليل تقترب وتدخل للشاطىء وترى جسم غريب يُلوح لها من بعيد؛ تُحدق جيدًا.. فإذا بها جلفار تنتظر أم السعالف كعادتها، ولكن ليل لا تذكرها فتهرب خائفة وتأخذ ريم وتعودان للمنزل؛ جلفار تحدث نفسها قائلة:

- ماذا حصل لليل؟.. لم تعرفني أم أنها خافت أن أغرقها؟!.. سأعود للمحيط يبدو أن أم السعالف لن تأتي.

عندما عادت جلفار ذهبت للنغار لتطمئنه أنها رأت ليل على الشاطىء.

سألها النغار:

- وكيف هي؟.. هل تحسنت؟

أجابت جلفار:

- نعم لقد بدت وكأنها أميرة من البشر وأجمل بكثير مما كانت عليه داخل البحر.. وهي لم تتعرف علي.

النغار بصوت أجش:

- خافت منك فأنت خبيثة.

قال سيردار:

- ربما ليل أتت لترى هيلز لقد رأوه الحراس يعبر الحدود بكامل زينته فهو لم يخرج من قصره منذ رحيل ليل.

قالت جلفار:

- لم أرى هيلز على الشاطىء.. لربما رحل دون رؤيتها.

https://t.me/art_of_book

قال سيردار:

- سأزوره غدًا لأطمئن عليه.

***

تعود ليلى لغرفتها ورغم خروجها ورؤية البحر إلا أنها تشعر بحزن يؤرقها.. لا تعلم ما هو؟!.. تنام على سريرها، وتضع يدها على قلبها؛ فهي تشعر بألم صدرها وضجيج لا يهدأ..

ألم.. ألم، بدها سلمى ومالك بالقلق على ابنتهما، لقد تغير حالها، ضحكات ليلى كانت تملأ القصر.

- ما رأيكِ يا سلمى بأخذ ليلى لأخصائية نفسية؟!

سلمى ترد بغضب وتقول:

- ماذا تقول؟.. ابنتي ليست مجنونة.

- ليس جنونا.. ربما هي مكتئبة والأخصائية ستخرجها من حالتها.

سلمى بخوف على ابنتها:

- انتظر.. سَتَعُود كما كانت.

وصل خبر عودة ابنة السفير لسامي، وأنها فُقدت داخل البحر وعثر عليها الصيادون بجانب قارب أحدهم، تحدث سامي لصديقه مازن بأنهُ يريد السفر للمغرب، ويلتقي بالسفير؛ ليخبره عن الفتاة بأن تعود لوالدتها.

قال مازن:

- لِمَ تترك هذا الأمر يا صديقي.. فوالدة الفتاة لن تتعرف عليها ووالدها توفي منذُ زمن ولن يتأذى سوى ليلى المسكينة.. فلن تحتمل خبر اختطافها.

سامي يضع له مُتكأ:

- يا صديقي الحس الأمني قد يجعلك تُجازف بمستقبلك الوظيفي أو حياتك..

انظر كيف لحدث لم يستغرق ثوان بأن دمر أسرة بكاملها.. الأم توقف عقلها في تلك اللحظة وما تراه سوى صورة ابنتها ذات الثلاث سنوات.. ووالدها لم يحتمل قلبه فقدان ابنته فتوقف في الحال.. وجنات نالت جزائها وتوفيت بمرضها القاتل.. أما سلمى فما زالت ترفل في نعيم حياتها المزيفة.. سأذهب وأريح ضميري وأعود لإكمال حياتي دون

https://t.me/art_of_book

مشاكل اختطاف أخرى.. يومان وسأذهب وأنتَ ستنتظرني هُنا وتقوم بالعمل نيابة عني.

مازن وهو يلقي التحية العسكرية:

- أمرك سيدي.

***

سيردار يبدأ بزيارة هيلز ويطلب من الحراس أن يدخلوه لمضجعه، فالأمير لم يخرج منذ ليلة البارحة، يطرق الباب لكي يأذن بدخوله، وهيلز بغضب ينهر من خلف الباب ويهدد:

- ستدخلون السجن لإزعاجكم.

سيردار يدفع الباب ويُهازحه:

- الحمد لله لستُ من حرسك.

قال هيلز معتذرًا:

- أهلا بكَ يا صديقي.. ألتمس العذر فأنا لم أعلم من خلف الباب.

- وكيف تعلم وأنتَ نائم منذ ليلة البارحة.

رد هيلز بحزن يعتصر قلبه:

- لقد ذهبت لرؤية ليل ولم تأتِ.

قال سيردار:

- من قال أنها لم تأتِ؟!.. لقد رأتها جلفار وهي تنتظر ساجرتها.

هيلز يقفز من مكانه:

- ماذا تقول؟.. لماذا تأخرت لمنتصف الليل؟!.. لو أعلم أنها ستتأخر لكنت انتظرتها.. أريد رؤية جلفار.

رد سيردار:

- ابعث بالحراس ليأتُوا بها.

على عجلة يُرسل هيلز الحراس ويطلب منهم ألا يعودوا إلا وجلفار معهم.

***

https://t.me/art_of_book

عمر يحيي حفلاً بطنجة وتخطر بباله ليلى، يسأل سائقه:

- هل تقلني لمنزل السفير السعودي السائق بتعجب:

- هل ستغني بمنزلهم؟!

رد عمر قائلاً:

- نعم أريد رؤية ابنتهم فلديها حفلة تريد أن أحييها لها.

وصل عمر لباب قصرهم، وتحدث مع الحراس:

- أريد رؤية السيدة ليلى.

سأله الحارس:

- من أنتَ يا سيدي؟

رد عمر بأدب:

- أنا صديقها طيلة أشهر غيابها عنكم.

الحارس يخبر ليلى وتأتي على عجلة؛ تريد رؤية الشخص الذي كان معها بتلك الأشهر، تنظر له من بعيد وتسأله:

- من أنت؟

نظر إليها عمر وأجاب:

- أنا عمر يا ليل.. ألم تتذكريني؟!

- أنا لا أتذكر شيء.

يسألها عمر:

- أين ذهبت بك أم السعالف؟

تتغير نظراتها باشمئزاز:

- ماذا تقول؟!.. من هي أم السعالف؟!

- الساحرة التي أخرجتنا من البحر.. ألا تتذكرينها؟

قالت ليلى بتعجب:

- البحر!.. وكيف نعيش بالبحر ونحن بشر يا هذا؟

عمر يقترب من ليلى ويسألها:

- ماذا فعلت بك تلك اللعينة.. لقد رأيتها تأخذك بعيدًا.

https://t.me/art_of_book

قالت ليل بحزن وفضول:

- احكي لي ما حصل.

بدأ عمر بسرد القصة كاملة وليل منده‍شة مما سمعته.. هل هذا حلم أم قصة من الخيال.

عمر:

- أنا واثق من أن تلك الساحرة وضعت لك تعويذه لكي تنسي ما حصل.. سؤالي.. لماذا خافت منك ولم تخف مني؟

طلبت ليل منه أن ينتظر، صعدت لغرفتها مسرعة، وجلبت الرسمة والأصداف واللآلىء وتريه إياهم.

عمر يرد ويقول:

- هذه الرسمة لهيلز.

سألت ليل في تعجب:

- ومن هيلز؟!.. أهو صديقك وغرق معنا؟

رد عمر عجبًا:

- لا.. هو كما تريته خيلان من كائنات البحر.. وهذه أصداف ولآلىء لا توجد إلا بأعماق البحر وأنت جمعتها مع هيلز.

قالت ليل بحزن على حالها:

- ساعدني يا عمر.. فأنا لا أتذكر شيء أبدا.

قال عمر:

- هناك ساحرة اسمها أم عثمان.

قالت ليل:

- نعم أعرفها فقد ساعدت والدي في عودتي.

قال عمر:

- لتذهب إليها فربما تعلم شيء عن أم السعالف وتدلنا عليها ولكن حذاري أن تخبريها أنها أصابتك بعقلك.. بل استكافتها لمساعدتنا بالخروج من البحر.

https://t.me/art_of_book

تخبر زمرده بدعابها مع صديقها، ها هي تذهب معه لأم عثمان وتدخل عليها وتسألها:

- هل تعرفين سيدة اسمها أم السعالف؟

تضحك أم عثمان بقهقهة:

- نعم.. هذه أختي وهي تسمي نفسها هكذا لتخيف الناس وشياطين البحر واسمها زينب.

قالت ليل:

- أريد رؤيتها.

ردت أم عثمان موضحة:

- لقد سافرت قبل شهر وتركت الديار.

قال عمر بحزن مستعار:

- يا خسارة.. لقد جهزنا لها مبلغ كبير نكافئها به.. أختك أنقذتنا ونحن مدينون لها.

لمعت عيون أم عثمان لسماعها خبر المكافئة.

ليل:

- تواصلي معها ودعينا نراها فهي أنقذت ابنة السفير ولن تحتاج للسفر ستعيش ملكة بنقود المكافئة.

غادرت ليل وعمر، وعادا أدراجهما وهما يعلمان أن أم عثمان ستوصل الخبر لأختها وتخبرها، ويتمنيان عودتها لكي يفهموا لماذا فعلت ذلك بليل؟

●●●

أتت جلفار برفقة حارس هيلز وهي تعلم لماذا يجلبها، عندما دخلت للقصر اقترب هيلز منها يسألها:

- هل رأيتِ ليل على الشاطيء؟.. وماذا قلتِ لها؟.. وماذا قالت لكِ؟.. انطقي.. تحدثي بسرعة.

جلفار تصرخ في وجهه:

- انتظر سأخبرك بكل شيء فأنتَ تُخيفُني.

سيردار يُمسك بيده ويحاول تهدئته:

- انتظر ستُخبِرُنا بكل ما رأته.

https://t.me/art_of_book

جلفار تقترب منه بهدوء وتقول:

- رأيتُ ليلى برفقة امرأة وكانت تشتم الهواء على الشاطىء وعندما ظهرت لها واقتربت منها وكنت أصرخ باسمها وألوح بيدي وأقترب للشاطىء.. بدأت نظراتها بالخوف والهروب وابتعدت وأخذت تلك المرأة معها ورحلت.. لم أتوقع أن تخاف هكذا!

سألها هيلز في فضول:

- كيف كانت؟

ردت جلفار:

- بدت جميلة جدًا وترتدي ملابس راقية يبدوا أنها أميرة أو والدها شخصية مَرمُوقة.. لم تبدو كالبشر الذين تراهم.

قال هيلز:

- هل خافت منكِ أم لم تتذكرك؟!.. يبدو أن مكروه قد حصلَ لها.. ليلى ليست هكذا ؟.. أخبروني ماذا أفعل؟.. سأجن. قالت جلفار:

- سنراقب الشاطىء وجميع الحراس يعرفون ليلى وسيخبروننا إذا أتت لزيارة الشاطىء.

سيردار:

- سأفعل ما تأمرني به.. سأساعدك يا هيلز فوالدك ذو فضل علي.

قال هيلز:

- أريد رؤيتها فمنذ رحيلها وأنا لا أشعر بالحياة وكأنها أيامي الأخيرة وأنا أحتضر بكل بطىء.. ليتكم تشعرون.

قالت جلفار بحزن على حاله:

- سأساعدك أيضًا وأبحث عن تعويذة تُخرجك من البحر ورؤيتها لربما تفهم ماذا يحدث لها.

هيلز يَحني رأسه للأرض وعند رفعه يرون دموعه مُنهمرة بصمت، فهو لا يستطيع الشكوى أو وصف ما يمر به من ألم.. ألم يقطع نِياطَ قلبه بفراق حبيبته.

تُغادر جلفار والحزن يملؤها؛ فهي السبب لما حصل لهيلز، فلو لم تعبث بالتعويذات لما أحضرت عمر وليلى للبحر.

بقي سيردار معه ليساعده في إدارة محيطه، وما هي سوى سويعات وتنقض سيدا ومعها جيشها، ويتبعها سمك الحجر الذي عَقدت معه

https://t.me/art_of_book

اتفاق بأن لهم يمتلكون المحيط الهادي فهي جزيرة كبيرة التي ربتها، حاول سيردار وهيلز حماية المحيط ولكن دون جدوى، الهجوم مخطط له منذ أسابيع، صيدا لا تنسى.. تريد أن تكون المنتصرة دوما ولو بعد حين، يحاول هيلز محاربتها ولكن دون جدوى، فسمك الحجر يقتل كل شيء أمامه دون رحمة، تكاثفت الخسائر على هيلز وقرر الانسحاب؛ كي لا يخسر جميع من بالمحيط، وهرب باتجاه النهار الذي سيحكم بينهم.

سيردار يشعه مع بعض ما تبقى من جيش هيلز، وعند وصلهم للنهار يأمر أن تصنع لهم مساكن مؤقتة لحين عودتهم لمحيطهم.

هيلز يطمئن على جيشه وما تبقى من سكان محيطه.

سأله النهار بقلق:

- ماذا حل بالمحيط الهادي؟

رد سيردار:

- لقد هاجمنا سمك الحجر بقيادة سيدا وها هم يسيطرون على محيط هيلز وسيدا عادت لمحيطها منتصرة.

قال النهار:

- فليتقل الله طمعها وجشعها لم تقصر معها بيوم.. لماذا تُنكر المعروف بهذه الطريقة؟!

هيلز يدخل على النهار وهو غاضب:

- سأسحق تلك المتعجرفة.. لن أدعها تعود أميرة.. سأنتقم.

طلب مهُ النهار أن يهدأ؛ فالغضب لا يُفيد، فهي خططت بهدوء، يجب التريث لرد الاعتبار جيدًا.

سيردار:

- الآن يجب التفكير بأن نخرج سمك الحجر من المحيط وبعدها نفكر بسيدا وكيف نقتص منها.. شنّ الحروب عشوائيًا لن يأتي بالنصر بل بالخسائر.

يدخل هيلز لمضجعه ويبدأ بالتفكير:

ماذا أفعل؟.. تعقلي مشتت بين حربية مغادرة.. ومحيط مسلوب.. قد أمسيت بلا قلب يحتويني وبلد تأويني.. سأجن.

•••

https://t.me/art_of_book

أنين

أم عثمان تتصل بأختها زينب:

- أين أنت يا أختي؟!.. السفير وابنته وضعا لك مكافأة مالية ستكفيك ما تبقى لك من عمر.

ردت زينب:

- أنا يا أختي أعمل والناس هنا لا تعرفني.

قالت أم عثمان:

- عودي وخذي مكافأتك وعيشي أفضل عيشة ببلدك.

زينب تذكر بصوت مرتفع:

لماذا لا أعود؟!.. ليل لا تتذكر شيء.. آخذ مكافأتي منها وأعيش ولو أحسست بشيء غريب أهرب ومعي نقود.

زينب تحزم أمتعتها وتعود، وتفاجئ عند عودتها بأن ليل وعمر يستقبلونها من المطار، فتأخذها ليل وتسكنها بفندق لتستطيع استجوابها بعيد عن العائلة، بقي عمر معها وبجانبها؛ فهو يخاف أن تؤذيها مرة أخرى.

سألتها ليل:

- احكي لي ما حصل فأنا لا أتذكر شيء وقلبي يكاد ينفطر من شوقه للبحر وعند ذهابي لا أفهم من يناديني من داخل البحر وأهرب من خوفي؟

زينب تحزن على الفتاة المسكينة، وتخبرها أنها خافت من السفير أن يسجنها عند معرفته بأن التعويذة التي تناولتها ابنته هي من صنع يدها.

قالت ليل:

- أعدك أنني لن أخبر والدي فقط أعيدي لي ذاكرتي لكي تهدأ نفسي.

زينب تنظر لعمر بنظرات غريبة وتسأله:

- هل أنت من أخبرها؟

عمر يرد بالإجابة ولكن ليل تقاطعه:

- لا.. لقد التقيته بحفل ولا يعلم ماذا حصل.. وزرت البحر وكان هناك كائن يصرخ باسمي ويقترب تشبه الحوريات كالتي كنت أشاهدها بالقصص ولكني هربت.

https://t.me/art_of_book

زينب تتمتم بصوت منخفض:

- لعن الله جلفار فهي من فعلت بالفتاة هكذا وأخافتها.

سألها عمر:

- ماذا تقولين؟!

ردت زينب:

- لا أقول شيء فقط أحاول أن أتذكر.. سأصنع تعويذة لكي تعيد ذاكرتك ولكن لا تخبري والدك فأنا أخاف السجن.

ليل:

- حسنا.. أعدك بعدم الحديث لأحد وأنت ستعيشين معززة لحين وجود عمل.

تغادر ليل وهي سعيدة؛ ستحل مشكلتها وترتاح.

وتبدأ أم السعالف بتجهيز أعمالها؛ لكي ترميها بالبحر، وتنتظر اكتمال القمر للدخول، وبعدها ستعود ذاكرة ليل.

•••

بدأ هيلز بالتفكير بالخروج من البحر والبحث عن حبيبته، لم يعد يهمه المحيط والسلطة كما في السابق، سأل جلفار قائلا:

- هل تستطيعين مساعدتي؟!.. فلا أريد البقاء بالبحر.

تفكر جلفار بالذهاب للشيطان الأكبر الذي يسكن أعماق البحر البعيد فهو يُوسوس للسحرة بعمل أعمال خبيثة، تخبره جلفار أنه يوجد ولكن في المحيط الأطلسي وليس قريب.

قال هيلز:

- لا يهم سنذهب إليه.

- والنهار ماذا نقول له؟

رد هيلز:

- سأستأذنه ونذهب.. لن يعلم شيئًا.

قالت جلفار:

- حسنًا ولكن بعد اكتمال القمر.. موعده اقترب.

هيلز توجد غصة بقلبه لاكتمال القمر فهو موعد آخر.

•••

https://t.me/art_of_book

ليل تتأمل خاتم بيدها لا تعلم من وضعه؟!.. ولماذا لا تستطيع خلعه والتخلص منه؟!.. التفكير يُؤرقها.

***

وعند دخول أم السعالف تلتقي بجلفار وتخبرها بحالة هيلز وخروجه، ولكنها تمنعها من مساعدته وتأمرها بأن تجلب لها تعاويذ من البحر، وستنتظرها لحين عودتها على عجل، تعود جلفار بجميع ما طلبته أم السعالف وتحمله وتعود لتجهز أعمالها الخيرة تُؤرّق جلفار.. لماذا تمنعها أم السعالف؟!.. ولكنها بقرارة نفسها تريد مساعدته فهي حزينة لحاله، يسألها هيلز:

- ستساعديني في رحلة البحث عن شيطان يستطيع تحويلي لبشري؟

- لقد علمت يا هيلز أن هناك أسطورة قديمة قبل آلاف السنين تتكلم عن الباهموك.

سأل هيلز بتعجب:

- وما الباهموك هذا؟!

ردت جلفار:

- إنها سمكة عملاقة متوحشة تسكن بأعماق المحيطات ومن ضخامتها يُقال أنها تحمل الأرض على ظهرها وفأس يُشبه الفيل من حجمه.. إنها تجمع بين الشياطين والجن تحت أمرها وتترأس المحيط وفأ جيش يُغطي قرص الشمس.. سنذهب لطلب التعويذة منها

- أتعتقدين أنها ستساعدني يا جلفار؟!

- سنستعطفها يا سيدي لعل وعسى.

استأذن هيلز من النغار، وأخبره عن رحلته للبحث عن الباهموك في أعماق المحيط الأطلسي، حذره النغار من تلك الرحلة؛ فهي ليست مضمونة العواقب، وربما يفقد حياته فيها.

قال هيلز بحزن شديد:

- وما قيمة الحياة يا حكيم المحيط بدون ليل؟!

قال النغار:

- ليل لن تنسانا يا بُني وستعود لرؤيتنا.. امهلها لحل مشاكلها.

https://t.me/art_of_book

صالحا.

قال الثعلب:

- سأجعل سيردار يرافقك وحارسان يخدمانك.

- جلفار سترافقني يا سيدي فلها خبرة وهي من دلتني على سكة الباهموك تلك.

- كفانا الله شر علمها المنحرف يا بني.

رحلة الباهموك

https://t.me/art_of_book

ومنذ أن بدء الفجر يَسدل خُيوطه الفضية على البحر بدأت رحلة هيلز وأصدقائه متوكلين على ربهم، راجين أن يعودوا دون خسائر تذكر، تتقدمهم جلفار؛ فهي تَعرف الطريق، وعند رِكُوب الأمواج والتعمق يجتمعون مع بعضهم خوفًا أن تفرقهم، سيردار يقود الرحلة والحراس؛ فهو قائد مفتول العضلات، له باعٍ طويل بالسفر مع الأمراء والملوك والمحافظة على أرواحهم من المخاطر، الرحلة في بدايتها آمنة ومطمئنة، يأكلون ويتسامرون ويَضحكون من بعض القصص التي يتذكرونها قديمًا.. ما عدا هيلز يفكر بنجاح رحلته ورؤية ليلى التي تشغل باله، وبعد عدة أسابيع يصل للمحيط الأطلسي، ويستقبله جيش الباهموك الذي يُدخله للقصر ومقابلة السمكة العملاقة، عند مشاهدتها أحس سيردار بأنه سمكة سهل التهامها؛ فلَمْلَم عَضلاته التي كان يَفرِدها على حراس النغار، سألتهم الباهموك بكل غلظة في ملامحها وصوت مخيف:

- ما الذي أتى بكم لمحيطي؟

هيلز يأمرهم الصمت والسماح له

بالحديث، سيردار يرد:

- لا أستطيع التكلم من إزعاج في دقاتِ قلبي.

رد قائلًا بحب:

- يا سيدتي إنه قلبي من اختارها وعشقها.. لقد خرجت الفتاة من البحر وعادت للأرض واختفت.. أريد أن تساعديني بتعويذة تجعلني بشري وأخرج للبحث عنها فوق الأرض.

قالت له:

- اتركني أفكر بأمرك وأستشير وزيري وإذا استطعت سأساعدك وأنتم ضيوفي.. سنجتمع على العشاء وأخبركم بقراري.

يذهبون ليرتاحوا، وهيلز يفكر بقرارها، لن يهدأ له بال حتى تريح فؤاده.

سيردار:

- أفضل الرحيل يا هيلز قبل أن تطعمنا لوحوش البحر ألا ترى حجمها؟!.. ستسحقنا بزعانفها عندما تغضب.

- ولماذا تغضب يا سيردار؟.. نحن ضيوف ومن حقها أن ترفُض مساعدتنا وننصرف.

https://t.me/art_of_book

سألت الباهوك جلفار:

- لقد رأيتك من قبل أليس كذلك؟

ترد وهي تغص بريقها:

- نعم يا سيدي لقد أتيتُ من طرف أم السعالف لأخذ بعض التعاويذ الخبيثة فهي تحتاجها لأعمالها الصعبة.

ترفض الباهوك وتعتذر هيلز:

- سأساعدك باستعادة عجلك ولكن بشأن التعويذة لن أسمح لكم

يقترب هيلز منها وسيردار يسحبه بعدم الاقتراب؛ خوفًا من غضبها.

ولكن هيلز يقترب بشجاعة ويسألها:

- هل أحببتِ من قبل يا سيدتي؟!

تنظر بسخرية:

- لا ولماذا أتزوج وأنا قوية؟!

- يا سيدتي الحب والزواج ليس للقوة بل ليكمل كل شخص جزء الآخر وهذه طبيعة الكون في الأرض والبحار.. لو رأيت حوتًا وأحببته ماذا ستفعلين؟!

تضحك بصوت عالٍ تجلجلة المكان. تخاف جلفار وتتمتم:

- هالكين لا محالة.

يقترب هيلز منها أكثر وكأنه أحس بطمأنينة لضحكها معه وبخبرها:

- إن القلوب إذا ألفت شخصًا ترفض النفس الراحة والعقل يبدأ بالانشغال والجوارح لهُ تشتاق.. ليس بيدي بل شيء خارج عن إرادتي.. أريد رؤيتها والاطمئنان عليها.

تصمت وتنظر لوزيرها تريد مشورته:

- فرر وزيري أن تختار أحد الأمرين.. أن نعيد عجلك.. أو نساعدك لترى حبيبك.

بدون تفكير يرد هيلز:

- الثاني.. أريد رؤية حبيبتي.. أرجوكِ ساعديني.

تأمر الباهوك جلفار بالاجتماع مع الجن والشياطين وتعمل له تعويذة تجعله بشري يعيش بينهم بلا غرابة. تنفذ جلفار أمرها وهي سعيدة بهذه الثقة من الباهوك الأسطوري، تسأل سيردار:

- هل لكَ خدمة أساعدك بها؟!

https://t.me/art_of_book

رؤيتك والحمد لله تحققت أمنيتي.

م الباهوك وتقول:

- لا يبدو عليك فرح اللقاء.. أريد رؤيتك صباحا على انفراد.

سيردار:

- حسنًا يا سيدتي.

يفرح هيلز بكرمها وهو يقول:

- ستتحقق أمنيتي.. وما هي إلا أسابيع قليلة وأقابل ليل وأعرف سبب نسيانها للبحر.

سيردار يلّف ويدور وكأنه طفل يخاف من عقاب والديه، يسأل هيلز:

- هل ستقتلني أم ستسجنني؟

رد هيلز بسخرية:

- ربما أعجبت بعضلاتك وستزوجك وتصبح باهوك سيردار.

قال سيردار في غضب:

- هذا ليس وقت مزاحك وسخريتك سأعلمك يا صديقي وأصبح وكرك بحيتانك.

تجمع بو ومعها حراس من جميع أنواع الأسماك القوية وتقول لسيردار:

- هذا جيش سنهاجم به المحيط الهادي وتفرح سمك الخبر وتقول قيادة المحيط لحين عودة صديقتك من سطح الأرض.. هذا إن عاد.

قال سيردار:

- حسناً يا سيدتي سأنفذ ما تأمرين بو.

- اذهب ومعك الجيش واجعله شهرًا لحين أن يستتب الأمن بمحيطكم واصرف الجيش واطلب أن يجلبوا سيدا شكيلة لكي تمتعها على قمتها وتعديها لحدود محيطها.. وابلغ سلامي لصديقي النذار فهو رجل حكيم كان ينصحني بشبابه كي أكبح جماحي ولا أذي ضيوفي.

قال سيردار:

- سأنصرف يا سيدتي وأوصل سلامك لصديقك.

https://t.me/art_of_book

تعود جلفار بعد أسبوعين وهي تحمل زجاجة قد جمعتها مع الشياطين وبعض رؤساء الجن وهم يخلطون التعاويذ ويلقون بعض الطلاسم، يشكر هيلز الباهموك ويقول لها:

- لقد خفت من رحلتي فأنا أسمع قصص مرعبة عنك وأنك أسطورة كنت تستحقين من يفكر بدخول محيطك.

- أنا يا بني أدافع عن مملكتي ولا

أهاجم سوى الأشرار.. وأنت شاب طيب قد طحن الحب قلبك والشوق حطم فؤادك فأحببت أن أساعدك.. اذهب مع صديقتك وسيحميك الحراس لحين وصولك.

- أستطيع يا سيدتي حماية نفسي وصديقتي.

قالت مبتسمة:

- أريد يا بني الاطمئنان عليك وأن توصل رسالتي هذه للنغار.

يحمل رسالة الباهموك وينطلق برفقة جيش لا بأس به لحمايته، وعندما يصل للمحيط المتوسط يُشاهد النغار ينتظره بفارغ صبره وقد أكل الحزن منه، لقد ظن أنهم هالكون بسبب السفر ومشقته، أخذ يعانق هيلز ويُقبله ويسأله:

- هل أنت بخير يا بني؟؟

- لقد أحدثتُ التعويذة وهناك رسالة تخصك من سمكة الباهموك وأنا سأعود للمحيط الهادي.. أريد رؤية سيردار.

طلب منه النغار البقاء، ليخبره أن سيردار سيهجم على سمك الخنجر بأمر من الباهموك وساعدها بجيش ضخم، يقف هيلز ويضع يديه على رأسه:

- لقد طلبتُ أن تُحقق لي خدمة واحدة واخترتُ التعويذة.

قال النغار:

- لقد قال سيردار أنك لم تبن عليها وهي لا تحب الظلم والجبروت.

•••

أقدم سيردار والجيش خلفه ترى أوله ولا تعلم آخره، هجموا بضربة يد واحدة، واستعادوا المحيط الهادي، وفتكوا بكل عدو يواجههم، ترأس سيردار المحيط، وبدأ يوزع الأدوار لحين عودة الأمير هيلز من رحلته، وبدأ النغار يحكي قصته مع الباهموك الأسطوري في أول حياته، وكيف كانت لا تخاف أو تهاب أحدًا، لقد فتكت وتجبرت وبعد أن اجتمع أمراء البحر بدأوا يطلبون من النغار مقابلتها وإقناعها بكبح جماحها عن

https://t.me/art_of_book

- لا يا بني لقد فاجئتني هي بالزيارة وأخبرتني بأنه لابد للمخبر أن ينتصر مهما اعتلى الشر.

صمت لبرهة فرحًا ثم تابع قائلًا:

- لقد وصلتْ رسالتي كما يجب وسعدتُ بمفهومِها الجديد.

***

ليلى تتناول تعويذتها بغرفتها بعد أخذها من أم السعالف، وتخبرها بأن تتناولها قبل نومها كل ليلة لمدة ثلاث ليال متتالية، تنفذ كلامها، وعندما تأخذها تنام؛ ترى بحلمها البحر وهيلز والنغار، وتتذكر أحاديث تبدأ بربطها في بعضها لعل الصورة تكتمل، عندما استيقظت ليلى تذكرت هيلز وما صنعه من أجلها، وحبه ومساعدته لها، تذهب للبحر وتنظر لعلها تراه، ولكن لا تجد أحد، ويبدأ عمر بالتقرب والتودد لليلى، ولكن ليلى ترفضه من داخلها؛ فهي تعتبره صديقها وليس حبيبها، يبدأ بملاحقتها وأن كل ما حصل بالبحر وهم وليس حباً كما تظن، هي تشعر أن قلبها ليس ملكاً لها، وفي آخر ليلة أخذت تعويذتها ونامت وبدأت ترى أنها سقطت من دوار البحر، ثم تذكرت عمر وهو يسحبها لإنقاذها بوضع تعويذة في فمها، استيقظت من نومها لتأخذ نفسًا عميقًا، كادت أن تختنق، وعندما عادت للنوم مجددًا رأت النغار وهو يحنو عليها

ويساعدها، تذكرت رحلتها كيف التقت بهيلز وسيدا، وضحك لها رحلتها، استيقظت وبدأت بالبكاء من هول ما رأت، وكيف احتملت لوحدها خطورة البحر والسفر بين محيطات، وتذكرت أن هيلز لم يتركها بل ساعدها وحماها من ظلم البحر وحورياته، تذكرت وعدها له بأن تراه على الشاطىء كل ليلة قمرية، كيف لها أن تخبره بأن التعويذة التي جمعتهم أيضا فرقتهم، بدأت ترى التاريخ وأنه باقٍ أسبوعين لموعد اللقاء، فكرت أن تذهب كل ليلة للبحر؛ لعلها تراه وتُخبره بما حصل..

- لابد أنه غاضب مِني وظن أني نسيته.. كيف لي أن أخبره أن الساحرة الخبيثة أفقدتني ذاكرتي طول تلك الأشهر وهربت.

عمر يتصل؛ لرؤية ليلى قبل ذهابها للجامعة، يريد إخبارها بأمر هام، تقابلا بأحد المقاهي، وتناولت قهوتها معه، أخبرها أنه يريد خطبتها وأن تسمح له برؤية والدها؛ ليتقدم بطريقة رسمية كما جرت العادات، في هذه الأثناء يدخل ناصر أخو صديقتها رجاء، استأذنت عمر وذهبت لناصر وطلبت أن يحضر معها لطاولتها لبضع دقائق، لبى ناصر رغبتها، وعندما قدمته لعمر قالت:

- أعرفك على خطيبي ناصر وهو شاب سعودي ووالده صديق أبي.

ارتبك عمر وسلم على عجل واستأذن وخرج، ناصر لم ينبث بكلمة، فضل الصمت.

ليلى طلبت منه الجلوس وأفهمته أن عمر تقدم لخطبتها ولا تريد جرح كرامته بالرفض أو تُنقِص من حقه بأن عاداتها ترفض الزواج من خارج محيطها كونها سعودية وهو شاب مغربي، فَهِمَ ناصر ما تقصده وقال:

- لا تعتذري لقد فهمتُ ما ترمين إليه.. وأنا بخدمتك دائما.

يقولها مبتسماً:

تخرج ليلى معه ويوصلها للجامعة، لم تكن ليلى تعلم أنها فتحت نافذة بهذا الحديث، فناصر معجب بها من أيام الرحلة، ولكن اختفاء ليلى جعله صامت لم يخبر أحد برغبته بالزواج منها.

***

عاد هيلز يحمل تعويذته بعد أن أوصل رسالة الباهوك للنغار، وفَهِم قصتها معه، وصل لمحيطه وكان سيردار باستقباله، ودخل غرفته؛ لم يجد صورة ليلى؛ بدا غاضباً وهو يسأل الحراس:

- أين الصورة؟!

https://t.me/art_of_book

يضرب بقبضة يده على قلبه ثم يتابع:

- ولكن هذا لا يهدأ.. يُريدُها.. وعقلي لا يكف عن التفكير بها.. وأُذناي لا تسمع سوى صوتها.. وعيناي لا ترى سوى ابتسامتها.. سأبعثُ لك جلفار إذا أردتُ رُؤيتك.

سأله سيردار:

- ماذا ستعمل؟!.. لقد علمتُ أن البشر يعملون من أجل النقود فالحياة على الأرض ليست كحياتنا في البحر.

رد هيلز:

- أعلم.. هناك تجار للأسماك وللحُلي وأشياء كثيرة أخبرتني الهموك عنها.. لقد وضعت خطة معي كي أعيش وسط البشر دون أن يحسوا بأني غريب عن عالمهم لقد أخبرتني كل شيء فهي موسوعة وأسطورة.. أسطورة في بَحْرِنا.

يتناول تعويذته بالقرب من الشاطىء ليستطيع الخروج بعد أن تغيرت ملامح جسمه، ونهض على قدميه، بدأ يُجرب المشي كطفل يتعلم أن يَخطُو أول خُطواته على أرض ثابتة، الموقف مُهيب ومُخيف بالنسبة لشخص قَضى حياته داخل الماء، ولكنه تماسك وجلس على الشاطىء

...سيردار من خلفهم:

- لقد خَبأتُها يا صديقي.

انْصَرَف الحُراس، وأدخل سيردار يَده بأحد التجاويف وأخرجها، بدأ هيلز بتأمُلِها وضَمها لصدره:

- آآاه يا ليلى كم اشتقت لرؤيتك!.. ليتك تعلمين.

رُبت سيردار على ظهره ويُخبره بأن اللقاء بات قريب، وقال أيضًا:

- انهض يا صديقي وَدَعْنَا نضع خطة لحماية المحيط قبل رحيلك.

عُيِّن سيردار أميرًا لحين عودة هيلز، سأله سيردار:

- هل ستعود؟

هز رأسه وقال:

- لا أعلم.. كل ما أعرفه أني أريد تَمضية بقية حياتي مع ليلى.. أنا أُرَمِّم حُطام قلبي بعد خِسَارتي لها.. وأنا مَنْ ساعدها للخروج.. وأنا من سيعيش معها بعد الخروج لها.. أجهل تَصَرفاتي وكأني شخص لا أعرف نفسي.. ليتني لم أقع بالحب.

رد هيلز:

- أنا غريب وأريد العمل بهذه البلد.

سأله الشاب:

- هل تحتاج مساعدة؟

رد هيلز وهو يهز رأسه بالإيجاب:

- نعم.. أين تنامون بهذه البلدة؟

- إذا كنتَ غريب ولا يوجد لديك أصدقاء تستطيع أن تقطن بالفندق وتنام إلى أن تسافر أو تجد منزلًا.

- هل تستطيع أن تقلني لأقرب فندق؟

رد الشاب مبتسمًا:

- سأساعدك وبدون مقابل.

سأله هيلز في استغراب:

- ماذا تُعني بدون مقابل؟!

- أعني لن آخذ منك نقود.

https://t.me/art_of_book

تذكر هيلز كلام الباهوك عندما تقول "البشر يعملون من أجل المال".

رد هيلز:

- وكيف أجمع النقود؟!.. أخبرني.

قال الشاب بتعجب:

- حقًا لا تعلم أم أنك تُمازِحُني؟!

- صدقني لا أعلم فكما أخبرتك أنا غريب.

- ولكن الغريب يعرف أنه لا يستطيع الحياة والسفر بدون مال.

قال هيلز:

- لقد غرقت بالبحر وضاعت أموالي وحقيبتي.

رد الشاب بود:

- سأساعدك بالمال فأنا أحب مساعدة المحتاج وأخبرني هل لديك هاتف؟

رد هيلز محرجًا:

- أخبرتُك أني غرقت وفقدت كل أشيائي.

مد يده مصافحًا له يعرفه على نفسه:

- أنا وليد.. وأنت؟

مد يده وقال: هيلز.

رد وليد:

- ماذا؟!.. هيلز!.. ما هذا الاسم الغريب؟!

- لا أعلم يا صديقي هذا هو اسمي.

رد وليد بابتسامة لطيفة:

- حسنًا لا عليك سآخذك لفندق قريب وسأدفع تكاليفه لحين وجود عمل.

عندما وصل هيلز للسيارة بدأ ينظر باستغراب:

- ما هذا يا وليد؟

https://t.me/art_of_book

رد وليد بسخرية وهو يضحك:

- صاروخ سينقلنا لكوكب آخر.

ضحك هيلز وهو يركب السيارة، وحادث نفسهُ قائلاً:

- إني معتاد على ركوب الأمواج.

وصلا للفندق واستأجر غرفة لهُ، لقد وثق بهيلز وكأنه يعرفه منذ الصغر، صعد معه للغرفة ووعده بأن يحضر في الصباح.

بدأ هيلز يفكر بأن. الأمر بدأ يصعب عليه؛ فالأرض ليست كالبحر، فالحياة في البحر لا تتطلب مصاريف أو هموم، أخرج صورة ليل من جيبه وتأملها:

- من أجلك أفعل ما لا يطاق..

سأحارب إلى أن أصل لكِ.

ثم غط بنومٍ عميق ولم يُوقظه سوى طرق الباب، وكان وليد يطبل ويصدر أصواتاً مزعجة حتى فتح لهُ:

- لماذا هذا الكسل يا رجل؟.. ألم ترى الساعة إلى كم تشير؟

- وما الساعة أيضًا؟!

يرد هيلز بتأوب.

- لقد صدقتُ كل شيء قلته.. وكيف أصدق أنك لا تعرف الساعة والوقت أيضاً.

- ما الذي تحمله يا وليد؟

رد وليد مجيباً:

- إنه طعام إفطار.. بعض السندويتشات نأكلها ونفهم قصتك كي أستطيع مساعدتك.

أخبره هيلز بقصته دون أن يذكر لهُ أنه غير بشري، فقط أخبره بأنه يبحث عن فتاة أحبها وعشقها ومن ثم فقد أثرها.

هيلز يعرض على وليد التجارة:

- ما رأيك أن أحضر لك مجوهرات وأحجار وماس وأنت تبيعها للتجار؟

https://t.me/art_of_book

قال وليد بلهفة:

- ومن أين جلبتها وأين تخبئها؟!

رد هيلز مجيبا:

- إنها بأعماق البحر وأعرف مكانها جيدا وسأحضرها بنفسي لكن وأنت تبيعها ونقتسم المبلغ ما رأيك؟

- حسناً سأساعدك لأني أشفق عليك انظر في عيني ستنزل دموعي يا رجل.

يقوقا باسما.

يضحك هيلز ويدفعه أمامه:

- هيا سنذهب للشاطئ، وفي المساء دعني وارحل وسأعود للفندق لا تخف.

أوصله وليد وتركه أمام الشاطئ، ثم قال:

- سأغيب يا هيلز لمدة أربع ساعات وسأعود لأوصلك للفندق.

يشير هيلز بيده بأن يذهب ويتركه.

وبعد عدة ساعات تخرج جلفار ويراها هيلز، وعندما رأته أرادت أن تطمئن عليه، طمئنها وطلب أن تخبر سيردار بأن يجلب كمية من الأناناس المخبي، بقصره فهو يحتاجه، وتعود على عجل.

جلفار أعتادت على تنفذ الأوامر، ذهبت وأخبرت سيردار وفي الليلة الثانية تعود وتنتظر هيلز وهي تحمل الحقيبة، وتتفاجأ بوجود ليل على الشاطئ، تُحدق به، جلفار تخبئي، فهي لا تريد إخافتها كالسابق، تقول بنفسها:

- ربما وجدها هيلز وستقابله.

لا تعلم أن ليل تبحث عنه، وبعد عدة ساعات يعود هيلز ويأخذ الحقيبة من جلفار، ويسألها عن حال المحيط، فترد:

- الجميع بخير ولا ينقصنا سوى عودتك.

وأخبرته أيضا أنها رأت ليل على الشاطئ، قبل قدومه، هيلز يصرخ بوجهها:

- هل ما تقولينه حقًا؟

https://t.me/art_of_book

أخذ المبلغ، وذهب لهيلز، وأخبره بأن يطلب المزيد» فرح هيلز، وأخذ النقود، وطلب أن يأخذ سيارة أجرة تخصه للبحث عن حبيبته، وليد يفهمه وهو يعد النقود:

- كل همك حبيبتك وأنا همي التجارة التي ستعقدها يا صديقي.. ما رأيك أن أغير اسمك فاسمك هذا غريب.

هيلز وهو يطلب من الفندق تأمين سيارة خاصة وسائق:

- وما هو اسمي الذي اخترته؟!

- قيس.

يقولها ضاحكاً، ثم يتابع كلامه:

- ألا تعرف قيس يا هيلز؟!

- ليتك تخبرني يا صديقي من يكون قيس هذا؟!

- إنه حبيب ليلى.

قال هيلز بتعجب وعدم تصديق:

- ماذا تقول؟!.. هل ليلى أحبت قيس وتركتني؟!

- أنا لم أبحث عنها بعد.. إني أحتاج للمال وقد صادفت شاباً غنياً سيساعدني للحصول عليه بعد بيع المجوهرات.

يعود هيلز للفندق ويلتقي وليد، ويبدءان بتنظيف الألماس والأحجار؛ كي يقدمها وليد للتجار.

في صباح اليوم التالي يبدأ وليد بأخذ بعض القطع وعرضها على التجار، وكلاً منهم يفحص ويبهر بالقطع الثمينة والنادرة، ويسألون:

- من أين حصلت عليها؟

يرد وليد:

- إنها لصديقي وأنا أبيعها له وإذا أردتم المزيد سأخبره.

- نعم نريد وخذ المبلغ هذا وسنوافيك بالباقي بعد إتمام الصفقة وستحصل على عمولة إضافية.

شعر وليد بالسعادة وكأنه وجد كنزاً أمامه، ما هذه المبالغ؟!.. سيصبح أغنى رجل في العالم لو باع كل ما لديه من ماس وأحجار.

- إنها قصة قديمة لقيس وليلى.. هما عاشقان في الجاهلية وكان ينشد لها الشعر الغزلي.

قال هيلز:

- لابد أن كل ليل جميلة ومحبوبة..

اسم حبيبتي أيضًا ليل.

قال وليد مبتسمًا:

- إذا سأسميك هالي أو باسم.. ما هو رأيك؟.. فأنت بشوش دائمًا.

رد هيلز بعدم اهتمام للاسم:

- لا يهم الاسم.. الأهم هو أن أجد حبيبتي أمام عيني.

يذهب هيلز ويترك وليد بالفندق يجمع باقي الأموال، وعندما ركب السيارة أخبره أن يذهب به لمنزل السفير السعودي.

السائق يقله وعند وصوله يرى من بعيد القصر الذي تسكنه ليل، ينتظر داخل السيارة ويراقب من بعيد؛ لعله يشاهدها.

(لؤلؤة من نحب أغلى من كنوز الأرض)

وبعد انتظار طال أمده يرى ليل تخرج برفقة دميم زوجة أحلامها؛ لقد دق قلبه بسرعة، وخيمت فوق رأسه غيمة تزخ أنواع الفرح والسعادة، تبع السيارة وهو يراقبها بشغف لحين وصولها على شاطئ البحر، ترجلتا ليل وريم، وَهَمَّ هيلز بالنزول ومراقبتهما من بعيد، رأته ليل ولم تعر لوجوده انتباه لقد تغير عليها، ترى شابا ذا طول فارع، ومفتول العضلات، بشرته سمراء، وابتسامته جميلة، وذقن خفيف، بدأت من بعيد تُشبه عليه، وعندما ذهبت ريم لتحضر قهوة اقترب وجلس بجانبها، لم تنتبه في بادئ الأمر، وحين وضع يده على يدها أحست بقشعريرة صاعقة ضربت نبضات قلبها؛ التفت على عجلة وقالت:

- من أنت؟!

رد عليها:

- أنا التائه في عينيك.. أنا الباحثُ عن شوق قد غاب منذ أشهر.

بصوت منقطع هيلز تقول:

- هيلز.

نظر بعينيها وهو يجمع كفيها:

- نعم هيلز الذي أصبح مجنوناً.. تركت كل ما أملكه واتبعتك.. لماذا قطعت وعداً وأخلفته؟!

سحبته بعيداً عن المكان، وانزوت معه بجانب الشاطىء مخفية عن الأنظار:

- ها أنا آتي كل يوم للبحث عنك.. انتظرك على الشاطىء إلى أواخر الليل.. لقد أذلني الساحرة مرة أخرى وتعويذة تفقدني ذاكرتي.

تحكي ودموعها تنهمر، لا تعلم فرحة لقائها أم حرقة شعور فقدانها لحبيبها، مسح بكفيه دموعها وقال:

- لا يليق بهذه العيون الحزن.. ابتهجي فقد اجتمعنا من جديد.

تبتسم وتعانقه وهو يشتم عنقها ويمسح بكفيه على شعرها الأسدل:

- آه يا ليل كم اشتقت وبكيت حرقة غيابك!.. لا أعرف مكاناً يقلني إلا وأجدك تسكنينه.. لقد جبت البحار وواجهت الصعاب لأجل صنع تعويذة تخرجني من البحر لأبحث عنك وأراك.. والحمد لله ها أنت بين ذراعي وداخل أحضاني.. لا تبتعدي مرة أخرى أرجوكِ.. دعينا نعيش مع بعضنا دون ألم فراق آخر.

- الحياة يا هيلز صعبة وليست كالبحر.

استأذنته على عجل:

- لقد نسيت زوجة أخي لابد أنها تبحث عني.

يمسكها بيدها ويقول:

- ستعودين؟!

- نعم سأعود.

مازال تمسكها وكأنه لا يثق بوعدها، رَبَتَ على كفيه:

- هذه المرة صدقني.

ذهبت على عجل ووجدت ريم تلتفت يميناً وشمالاً حاملة كوبان من القهوة، مُرّعَت لها ليل، وعندما رأتها ريم جثت على ركبتيها وقالت بصوت مبحوح:

- لقد خفت أن أفقدك.. لماذا فعلت هذا بي؟!

ليل تسحبها لتقف على قدميها وتقول:

- اعذريني لإخافتك.. شاهدتُ صديقة قديمة لم أرها منذ زمن وأخذنا الحديث ونسيتك.. سأعود مع صديقتي عودي للمنزل وسأخبر والدتي.

https://t.me/art_of_book

قال هيلز وهو متعجب من الصدفة:

-ماذا؟!.. أخيكِ!.. لقد أخبرته بقصتي؟

ليلى بهلع وهي تضع يديها على رأسها:

- أخبرتهُ عن حبك وخروجك من أجل البحث عني؟

رد هيلز:

- لا لا.. اهدئي أرجوك.. كل ما في الأمر أنني أخبرته بأني أبحث عن حبيبتي وهو لا يعلم أني لست من البشر.. ظن أني مسافر وفقدت حقيبتي في البحر.. لا تخافي فأنا لست غبي..

ولكني سعيد جدا كون أن صديقي هو أخيكِ الأصغر.. لقد سهلت مهمة اختطافك.

يقولها باسماً.

- ماذا سنفعل الآن؟.. يجب أن تغير اسمك ؟!

- وماذا ستُسَميني ليلى؟.. أنا الآن طوع أمرها.. ألا أحزنك؟.. عندما كنت في بحرنا لم نغير اسمك.

- ليل اسم جميل وليس غريب في بحركم.

قال هيلز:

- دعينا من هذا وأخبريني كيف حال قلبك؟!

ردت ليل:

- هو الآن بخير.. لقد هدأ الضجيج بداخلي عند رؤيتك أمامي.. لقد عشت تائهة بدونك.. أعلم أن ما نفعله شيء من الجنون وجزء من الخيال لقد ظهر بحياتي الكثير من الشباب يودون خطبتي.

يقاطعها هيلز وهو يمسك بيدها ويريها خاتمها:

- كيف يخطبون حبيبتي وهي متزوجة بي؟!

ترد عليه وهي تقبض بيدها على كفيه:

- هم لا يعلمون ماذا حدث!.. ماذا أقول للناس؟!.. أني أحببت حياة أخرى لا تشبه حياتهم؟!.. كيف أحدثهم عن بدايات قصتنا ومن شدة حبي لك تقت لبدايتنا ونحن نصارع الأمواج وكيف أن نزهاتنا داخل البحر لن تتكرر هنا.. كيف أصف لذتك وأعذب الحب عشته معك.

بصمت، وهو يحدق بالسماء يقول:

- لن اخلي عنك ما حييت.. لن أشاهدك تتزوجي من غيري وامت.. سأخطفك حينها ونعود لمحيطنا.. لقد استعدته وسيردار هو وزيري الآن.. وهو من ساعدني وجلب المجوهرات ووليد من باعها وهو الآن في الفندق يرتب البضاعة لنبيعها ونكسب الكثير لأصبح جديراً بابنة السفير.. سأبني لك قصراً أو جزيرة.. سأجعلك أميرة سواء بالبحر أو على الأرض.

قالت ليل:

- أريدك أنت.. فقط أنت.

- اتفقنا إذاً.

قالت ليل:

- نعم لم يتبق سوى أن تغير اسمك وتكمل عملك مع وليد ومن خلاله سأكون أنا زوجتك أخت صديقك.. اتفقنا؟!

قال فرحاً:

- نعم الآن متفقين.

https://t.me/art_of_book

- سأسميك رعد.. ما رأيك؟!

- ومتى سأمطر؟

يرد ممازحًا لها.

ردت بحب:

- لقد أمطرت على قلبي حبًا.. ويجب أن تختار تاريخًا لميلادك؟

- وجدتُ تاريخ ميلادي.. عندما التقت أعيننا ونبض قلبي.. هنا ميلادي وما قبله دمار.

تنظر بخجل وهي تُطأطئ رأسها:

- وميلادي أيضًا هو بكائي بجانب الصخرة لحين رؤية شاب وسيم يحمل قنديلًا يساعد الفتيات بمحيطه.

- لا.. إني أساعد الفتاة التي تبكي من الظلام.

تقبض حاجبيها، وتلكزه:

- كف عني.. سأكمل لك.. وسأخبر وليد أنك من السعودية ولست من هنا واستخرج أوراقًا رسمية.. سيساعدك وليد فلديه أصدقاء أبائهم يعملون بسفارتنا.. هنا لن يكون لدينا مشاكل لإتمام زواجنا.

قال هيلز بسعادة:

- سأخبره يا ليل وسأتعلم من وليد بدون أن يشعر وسأصبح تاجراً مشهوراً لأليق بفتاة أحلامي.

- لقد تأخر الوقت يجب أن أعود للمنزل.

قال هيلز:

- حسناً سأوصلك وأعود للفندق.

وهما يهمان بالعودة يسألها:

- كيف سأراك مرة أخرى؟

- سنلتقي على الشاطئ في المساء انتظرني.

- حسناً سأنتظرك.. ومتى تذهبين للجامعة أريد الاطمئنان عليك؟!

ردت ليل قائلة:

- الساعة التاسعة صباحًا.

وعند نزولها من السيارة يقبل كفها ويودعها قائلاً.

(إن فتاة الطين مخلوق يزهر داخل قلبي عندما أرى عيناها) أُويلي

https://t.me/art_of_book

عند عودته للفندق يشاهد فتاة تقبع خارج الفندق، وهي تلفن بإحساس الغربة، اقترب منها وسألها:

- هل أستطيع مساعدتك؟!

بدأت تجمع يديها وهي تلف جاكيتها الشتوي على صدرها:

- إني تائهة.. لقد وصلت لتوي من الريف ولا أجد مكاناً مناسباً للنوم.

- ومن ماذا يشكو الفندق؟.. ألا يعجبك ؟!

ردت الفتاة بحزن:

- إنه غال جداً.. سأنتظر الصباح وأبحث عن سكن آخر أقيم فيه مع مجموعة من الفتيات.

قال هيلز بشهامة:

- لن أدعك تنامين بالشارع.. سأدفع تكاليف غرفة خاصة لحين تدبر أمورك.

قالت بخجل:

- لن أسمح لك يا سيدي.. فما شأنك بفتاة لا تعرفها وتساعدها.

- ليس من شأني ولكن تعرضت لهذا الموقف من قبل فساعدني شاب لا يعرفني وأنا ممتن له.. لو سمحت ادخلي وراني ولا تتذمري.

جرت خطاها باستحياء وهي تدفعُ حقيبتها بثقل، طلب من موظف الاستقبال إعطائها غرفة خاصة وتكون مدة الإقامة مفتوحة، ومصاريف غرفتها تضاف للجناح الذي أقيم به وجباتها تصعد لغرفتها وجميع ما تحتاجه يأتي لها.

في هذه الأثناء ينزل وليد ويشاهد هيلز يتحدث والفتاة خلفه، يقترب بكل هدوء ويسأله:

- هل وجدت فتاتك؟!

الفتاة بشيء من الخوف تعود للوراء، فيقول هيلز:

- لا لم أجدها وهذه الفتاة غريبة وساعدتها.

يز وليد رأسه:

- هل تريد شيء؟.. أريد العودة لمنزلنا.

https://t.me/art_of_book

قال هيلز:

- لا تذهب.. أريدك بأمر هام.. انتظر صعود الضيفة التي لم نعرف اسمها.

تقترب الفتاة وتقول باستحياء:

اسمي صافي.

يمد يده ويصافحها قائلاً:

- وأنا وليد.

ثم مد هيلز يده وقال:

- وأنا رعد.

بشيء من الاستغراب قال وليد:

- ومتى هذا؟!.. ألم يكن هيلز.

ضحك هيلز وقال:

- اسمي رعد.. وهيلز هو اسم الدلع. دمتم بخير

وعند صعوده للغرفة قال:

- غداً سآتي لك بكمية كبيرة من الألماس واللؤلؤ وأيضاً كمية من الذهب الخالص لن تجده سوى في أعماق البحر.

وليد بشيء من الفرح والسعادة وهو يضرب كفيه:

- سنصبح للأبد بهذه الفترة الوجيزة.

قال رعد:

- أريد مساعدتك فجميع أوراقي غرقت في البحر وأريد من سفارتنا استخراج بديل لتلك الأوراق لو سمحت يا وليد.

قال وليد بثقة:

- اعتبر أوراقك بين يديك.. ما رأيك أن نفتتح محل كبير للذهب والمجوهرات وندع التجار هم الذين يأتون ويتباعون منا وليس نحن من نذهب إليهم.

رد رعد:

- هذا ما أريد قوله لك وبغضون عام سنكتسح العالم ببضاعتنا النادرة.

https://t.me/art_of_book

سأله وليد:

- وما شأن تلك الفتاة التي أحضرتها معك للفندق بعد غيابك لساعات.

رد هيلز عجبًا:

- شاهدتها عند عودتي أمام الفندق

والفتاة تحتاج للسكن وهي غريبة.. تذكرت موقفك معي وأنت تساعدني.

قال وليد:

- الفتاة يا رعد جميلة ويبدو أنها ليست من المدينة وفا قصة لا نعلمها.

قال هيلز بعدم اهتمام:

- لا يهم ما تكون قصتها.. المهم أن نساعدها.

وعندما نزل رعد في الصباح وجد صافي تبحث عن سيارة أجرة تقلها.

- صباح الخير يا جارتي.

ردت صافي بأدب:

- صباح النور يا أستاذ رعد.

قال رعد:

- أستطيع أن أقلك للمكان الذي تريدينه.

ردت بخجل:

- لا أريد أن أشغلك أستطيع تدبر أمري فأنا ذاهبة للجامعة.

قال رعد مبتسمًا:

- أنا أيضاً ذاهب للجامعة.. تفضلي.

فتح رعد الباب لصافي، صعدت وشكرته لحسن اهتمامه، وعند وصوله للجامعة تراه ليل وبنظرات مستغربة وجود الفتاة بجانبه، يودع صافي، ويستقبل ليل، ويرى وجهها العابس، بسببه على أرنبة أنفها:

- هل تغارين؟!

https://t.me/art_of_book

قالت ليل بغضب:

- من تلك الفتاة يا هيلز؟!

- إنها صديقتي الجديدة.

يقولها باسماً.

قالت بضيق:

- سألتك من هي؟!

- لقد وجدتها تائهة وساعدتها.. لا تخافي.

يشير لقلبه ويتابع كلامه:

- أنت هنا.. سأعود في المساء لأقلك للمنزل.

- انتظر يا رعد.

- قرري الآن اسمي هيلز أم رعد؟!.. عندما تغضبين تناديني هيلز وعندما ترضين أكون رعد.

ردت ليل:

- يجب أن أعتاد وإلا كشف أمرنا.. خذ الهاتف وسأعلمك كيف تستخدمه.

***

حراس الباهوك يتجولون، لقد فقدوا سيدا، هربت من السجن، الجميع يخاف غضب الباهوك منهم، لو علمت ستستشيط غضباً وربما تفتك بالحراس؛ لأنهم أهملوا حراستهم الحرس يُوسعون دائرة البحث ولكن دون جدوى، ويخبرون الباهوك؛ لعل لديها خطة قبل أن تبتعد.

- دعوها سأجدها.. أخبارها ستأتيني.. سأرسل للنغار وأخبره بهروبها ليأخذوا الحذر.. لقد فقدت عقلها عندما علمت أن هيلز سيرحل ويبحث عن ليل.. جنت المرأة وأصعب ما سمعت عنه هو الحب من طرف واحد.. فسيدا تعشق هيلز منذ أعوام وكانت تنتظر أن يأتي لخطبتها فلا يوجد حورية تمتلك محيطاً غيرها.. وبذهابه فقدت الأمل وستجن أكثر.

***

رأت ليلى صافي تجلس وحيدة وهي تحتضن كتبها لصدرها، بدت لها من الوهلة الأولى بساطتها في لبسها وتسريحة شعرها، اقتربت منها، وسلمت عليها، وعرفتها بنفسها وهي تمد يدها لتصافحها، ردت صافي التحية وقالت:

- أنا صافي.. قادمة من الريف الغربي.. أتيتُ لأكمل دراستي الجامعية.

سألتها ليلى:

- هل أتيتِ مع عائلتك؟!

ردت صافي:

- لا.. فوالدي موظف بالقطار ولا يستطيع ترك الريف ووالدتي تخبز الكعك وكلاهما لديهما عمل.

تعرض عليها ليلى صداقتها:

- ما رأيك أن نصبح صديقات.

قالت صافي بسعادة:

- من دواعي سروري أن تكون صديقتي بهذا الجمال.

تلكزها ليلى وهي تغمز:

- وما ينقصك؟!.. فأنتِ أجمل مني..

ملامحك البريئة تزيدك فتنة وعيناكِ كلها براءة.

***

في المساء أتى رعد ليطمئن على ليلى فوجد صافي بجانبها، وتتجاذبان الحديث عن المحاضرات والصديقات، فأقبل يسلم، فردت صافي السلام وقالت:

- لا ينبغي لك الحضور فأنا أستطيع العودة بمفردي.

رد عليها رعد قائلًا:

- أتيتُ من أجل ليلى ف...

قاطعته ليلى قائلة:

- أنا أيضًا صديقته.

https://t.me/art_of_book

اعتذرت صافي بلطف، وهنا أتى ناصر مبتسماً من بعيد، يلوح بيده وليل تلوح له، سألها رعد:

- من هذا الرجل؟!

أجابته:

- إنه أخو رجاء صديقتي.. ووالده صديق والدي بالسفارة.

صافي تستأذن تريد المغادرة، ولكن ليل تعرض عليها أن توصلها مع سائقها الخاص، ورعد يعرض عليها أن يوصلها فطريقهما واحد، صافي تعتذر منه وتذهب مع ليل وتخبرها أنها تريد أن تسكن مع فتيات بسكن مشترك؛ فهي لا تريد الفنادق، وعدتها ليل بأنها ستطلب من والدها أن يجد لها سكناً مناسباً، شكرتها صافي على حسن تعاملها، ولكن تتغير ملامح وجهها ويعتصرها ألم بطنها، ليل بشيء من الجزع:

- ما بكِ؟.. ما الذي يؤلمك يا صديقتي؟!.. هل أذهب بك للمستشفى؟.. أريد الاطمئنان عليكِ.

ردت صافي:

- فقط أوصليني للفندق سأرتاح ويزول ألمي إنه ملازمني منذ سنة تقريباً.

وعند وصولها للفندق تساعدها حتى الصعود لغرفتها، وتطمئن عليها بعد أخذ المسكن، تعدها ليل بأن تعود لها في المساء، وصافي تطلب منها الاطمئنان عبر الهاتف ولا تتعب نفسها بالمجيء، وعند خروجها تصادف أخيها وليد أمام المصعد فيسألها:

- ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟!

- لقد أتيت مع صديقتي صافي.. فلقد تعبت وساعدتها للصعود لغرفتها.. وأنت يا أخي ما الذي جاء بك؟!

رد وليد مجيباً:

- أزور صديقي رعد.. إنه شاب غريب الأطوار تعرفت عليه قبل عدة أيام.

قالت ليل:

- انتبه يا أخي فأنت مازال صغيرا.

https://t.me/art_of_book

- إنهُ شاب طيب وطموح.

تشاهد ليل والدتها، فتخبرها عن صاقي فتاة الريف البسيطة التي أتت من أجل الدراسة، طلبت من والدتها أن تساعدها باستئجار منزل مناسب لها؛ فهي لا تعرف أحداً في المدينة ولا أقاطنيها.

- سأجري عدة اتصالات وسأساعدها.. لا تخافي يا ابنتي.

***

تمضي الأيام والشهور وهيلز يُذاع صِيتُه بين التجار، وتكبُرُ تجارته، ووليد معه ويساعده، لقد تغير كثيراً ونضج عقله وأصبح يتكلم بلغة الأرقام، ليل تخرجت من جامعتها، وبدأت تعمل لدى هيلز ووليد في إدارة أعمال الشركة، وبات أمر علاقتهم شيئاً عادياً، أحس وليد بألفة بين صديقه وأخته الوحيدة، ولكنه ينتظر أن يخبرانه بقرار زواجهما، وعند زيارة هيلز للشاطئ، رأى صديق عمره سيردار بانتظاره ومعه جلفار، تجاذبوا الأحاديث وطمئنه على عيطه، وأخبره أن سيدا هربت ولا يعلم أين تختبئ، فهم يخافون على هيلز منها؛ فهروبها من أجل الانتقام والفتك بهيلز وليل.

- لا تهمني سيدا.. أنا سعيد مع ليل وعائلتها.. ولماذا أعود للبحر؟.. فلا يوجد لي عائلة.. عائلتي هي ليل وأريد خطبتها والزواج بها.

يحدق هيلز من بعيد، إنه يرى شيء يظهر من وسط البحر وكأنه رأس حورية، تسأله جلفار:

- ما الأمر؟ ماذا ترى؟!

رد هيلز:

- لا أعلم يا جلفار.. وكأن شيئاً يخرج رأسه من هناك.

وعندما يشير بيده تهرب، يصرخ سيردار:

- إنها سيدا لقد كانت تراقبنا.. سأذهب لأمسك بها.

تبدأ جلفار باللحاق به محاولين الإمساك بسيدا.

***

https://t.me/art_of_book

يعود هيلز لمنزله وهو يفكر بسيدا، ماذا ستفعل؟.. هل ستكتفي بالمراقبة من بعيد؟!.. أم ستخرج كما فعل هو وتنتقم؟! .. لا يعلم مدى الشر الذي وصلت لهُ!.. إنهُ لوثة من الجنون.. لا يريد إخبار ليلى؛ فهو لا يريد إخافتها بعدما تعرضت لهُ من خطف داخل المحيط.

***

ليلى داخل ردهات المستشفى تنقل صديقتها صافي وهي تعمل بعض الأشعة، لقد شحب لونها وبدأت هزيلة، وعندما زارتها مساءً وجدتها في حالة إغماء شديد.

طمئن الطبيب ليلى، وطلب منها الذهاب والعودة في الصباح، ستنام صديقتها تحت تأثير المسكن، وليلى ترفض، فهي تريد أن تكون بجانبها، فهي حزينة عليها وكونها وحيدة في المدينة وصافي لا تريد إخبار عائلتها؛ فهي تخاف على والديها من الجزع لحالتها.

تبدأ ليلى بسؤال صافي:

- احكي لي عن الريف يا صديقتي.

صافي تغمض عينيها وهي مستلقية على سرير المستشفى:

- كل صباح أستيقظ على رائحة الخبز الذي تعده والدتي ورائحة قهوتها الزكية وماندة متواضعة من الجبن البلدي اللذيذ والبيض من دجاجات جدتي.. أتعلمين!.. اشتقت لهذه الماندة البسيطة.. أذهب بعدها وأتنزه بحديقة الورد.. أساعد المزارع وهو يسقي الورد وأبدأ أشم رائحتها.. الأجواء الصباحية تجذبني وعند إكمال الطريق يعترضني ابن التاجر.

تفتح عيناها بسرعة لاغية تأملها، وتضع يدها على فمها:

- أقصد.. أذهب للمدرسة وأنا أمشي في الطرقات الضيقة.

تسكتها ليلى بيدها وتقول:

- احكي لي عن ابن التاجر الذي يعترض طريقك.

تخجل صافي وترد:

- أريد أن أنام فأنا تعبة.

ليلى:

- لن تتملصي من الإجابة سنعود لها في الصباح.

https://t.me/art_of_book

يبدأ الألم يعتصر صافي في منتصف الليل، تستيقظ ليلى فزعة وتصرخ بالممرضة:

- ساعدوني صديقتي تَعِبةٌ جدًا.. أرجوكم بسرعة.

تُهرَع الممرضة وهي تحمل مسكنًا لعله يسكت صرخاتها لحين تواجد الطبيب في الصباح، وما هي سوى دقائق وتخلد للنوم وتبدأ ليلى بالصلاة والدعاء لصديقتها حتى صعد لأذنيها صوت آذان الفجر، وبعدها أتى الطبيب ليخبرها أن ورم سرطاني أصاب صديقتها ويجب التدخل الجراحي قبل أن ينتشر في جسدها، ليلى والهلع والحزن يختلجها خوفاً على صافي:

- هل يجب أن نخبرها؟.. لا أظن أنها ستحتمل الخبر المفزع.

تتصل وتخبر رعد، ومن ثم تخبر والدتها التي تأتي على عجل للمستشفى؛ لكي تساعد ابنتها وهي تنقل خبر مرضها، اجتمعت ليلى ووالدتها ورعد الذي يعتبر صديقًا مشترك بين صافي وليلى، وعندما اجتمعوا عرَّفتْ ليلى رعد لأمها وقالت:

- إنه صديق قديم لنا ويساعدنا يا أمي.

أعجبت سلمى برعد وبشخصيته الجادة، واقترحت أن يتقدم هو وينقل الخبر، ومن ثم تخفف عنها ليلى، وتبدأ هي بدور والدتها وتطمئنها، بدأ القلق يصول ويجول بالمكان لحين أن استيقظت صافي، بتثاقُل سألت ليلى:

- ماذا حصل بي؟

اقترب منها رعد، وهو يضع يده خلف ظهرها ويطمئنها:

- إن ما بك سيزول.. نعم سيزول يا صافي وستتخطين آلام المرض.

قال الطبيب:

- إنك مصابه يا ابنتي بورم داخل بطنك ويجب استئصاله قبل أن ينتشر.

بنظرات من الخوف والجزع تصرخ بوجه الطبيب:

- ماذا تقول؟!

تضمها ليلى وتقول والدتها:

- إنك بخير لا تجزعي هكذا.

https://www.facebook.com/groups/1tnwe/art0t_book

تبكي ليل؟ لا تحتمل رؤيتها تنهار أمامها، طلب رعد من طبيبها أن يبدأ رحلة العلاجية، ولكن صافي ترفض، تريد العودة لقريتها، لا تستطيع البقاء بعيدة عن عائلتها، أربع سنوات هي مدة غيابها عن الريف، لقد اجتاحها حنين لرؤية والدتها ووالدها وابن التاجر الذي كان يحبها.

طلب رعد منها أن تنتظر لبعض الوقت ولكنها رفضت وطلبت الخروج على عجل، ماذا تنتظر بعد أن أخذت الشهادة؟!

ساعدتها ليل وهي تجمع ملابسها وحاجاتها، ورعد حجز لها تذكرة العودة لريفها البسيط، تمنت سلمى أن تقضي أياماً بمنزلهم إلى أن يأتي موعد السفر، لم تمانع صافي، حملت حقائبها وذهبت مع ليل ووالدتها لمنزلهم، استضافتها ليل بغرفتها وهذه أول مره تدخل صافي غرفة ليل.

- غرفتك جيلة جدا.

ردت ليل مبتسمة:

- زاد جاها بوجودك يا صديقتي والآن أخبريني من هو ابن التاجر ذاك؟

صافي تبتسم وتقول:

- ألم تنسي!

ضحكت ليل وقالت:

- ولماذا أنسى؟.. فأنا أحب القصص والحكايات.. هيا احكي لي.

تنهدت صافي وقالت:

- إنهُ يا ليل شاب وسيم ورقيق ومتحجرف بعض الأوقات يثير غضبي.

- وماذا أفهم من كلامك هذا؟!

قالت صافي بخجل:

- يحبني.. ويريد أن يسمعها مني.. لم أقلها له ولكني أحفظ قصيدة قد وجدتها بمعطفه عندما ألبسني إياه.

تلكزها ليل:

- ولماذا تلبسين معطف الرجل.. هاا أجيبي.

ردت صافي بخجل:

- كان المطر ينهمر بغزارة وأنا أختبيء تحت شجرة كبيرة ولكن البرد لا يرحم.. أتى ووضع المظلة فوق رأسي وألبسني معطفه.

https://t.me/art_of_book

ليل وهي تعزف بيدها وكأنها تحمل الكمان:

- أكمل يا جوك الشاعري.

- عدت للمنزل ونسيت أن أعيد معطفه وعندما أدخلت يدي بجيبه وجدت ورقة مكتوب بها.

ليل وهي تحاول أن تنسيها مرضها:

- ماذا؟... أين هي تلك الورقة؟

قالت صافي:

- سأحلد للنوم إني تعبة.. لقد تناولت الدواء وشعرت بالنعاس.

قالت ليل:

- سأتركك الآن تنامين ونكمل في الصباح.

تدفعها صافي:

- اتعدي الآن.. في الصباح سأذهب للسوق أريد شراء هدايا لعائلتي... ولابن التاجر أيضًا.

تقولها باسمة.

يتصل وعد يريد الاطمئنان على ليل، ذهبت بعيدًا كي لا توقظ صديقتها فهي نائمة.

يتنهد وعد:

- سئمت البعد عنك أريد أن أخبر وليد بأني أريد خطبتك.

قالت ليل:

- انتظر قليلاً صافي لم تسافر بعد وعند عودتها تستطيع أن تفعل ما تريد.

- سأنتظر وأخبرتك أيضًا أني مشتاقٌ لرؤيتك.. أريد أن أراك غدًا على الشاطىء.. سأخبرك بأمر قد حصل بالمحيط منذ أيام.

يغلق الهاتف، وتبدأ ليل بالانشغال.

- يا ترى ما الذي حدث؟.. هل هو أمر سيء أم ماذا؟!

وليد يبادل صافي نظرات إعجاب، وهي خجلة من وجودها على طاولة الطعام، قالت سلمى:

- لا تخجلي يا صافي فنحن عائلتك يا ابنتي.

https://t.me/art_of_book

قالت صافي بأدب:

- أنتم فعلاً عائلتي لن أنسى اهتمامكم ووقوفكم معي بمرضي.

قال مالك:

- نحن يا ابنتي نريد منك أن تعودي كي تكملي علاجك كما وعدتينا في السابق.. وسأستضيفك أنت وعائلتك.. سنقف بجانبك حتى تتعافي ويراكِ والدك طبيبة تعالجين المرضى.

قالت صافي:

- أتمنى أن أعيش هذا اليوم لكي يفرح بي والدي ووالدتي فأنا أملهم الوحيد بهذه الحياة.. لا أريد حزنًا يمسهما بغيابي.. أريد أن يفتخرا بي للأبد.

قال وليد:

- لماذا هذا التشاؤم؟!.. ستعالجين ويزيدك مرضك قوة وإصرار بهذه الحياة.. ستتزوجين وتصبحين أماً جميلة.

تشكرهم صافي بخجل، وتستأذنهم للذهاب إلى السوق، ريم تطلب منها أن ترافقها وسلمى أيضًا.

صافي:

- من دواعي سروري مرافقتكما لي خصوصاً وليل ذاهبة للعمل.

قالت ليل:

- سأعتذر من عملي وأرافقك.. لا يوجد أهم منكِ يا صديقتي.

قالت صافي:

- لا تعتذري.. ريم وخالتي سلمى ستذهبان معي وأنت أكملي يومك وعودي في المساء.. غداً موعد رحلتي وأريد أن أبقى معكِ أكثر وقت ممكن.. ربما لا يمهلني المرض رؤيتكِ مجددا. تغضب ليل وتقول:

- لا تقولي ذلك فأنت ستعودين لتكملي رحلتكِ العلاجية وسأكون معكِ.. هل تفهمين؟

تودعهم ليل برفقة أخيها وليد، وعند وصولهما للشركة تدخل ليل بسرعة مكتب رعد وتسأله:

- ماذا هناك؟!.. لم أنم جيداً من التفكير.

https://t.me/art_of_book

رعد يأخذها بيدها:

- سنخرج الآن للجلوس على شاطىء البحر ونتناول طعام الإفطار معًا.

قالت ليل بعدم صبر:

- أخبرني ما هو هذا الخبر؟!

تنهد رعد ثم قال:

- لقد هربت من البحر تلك الخبيثة.

- هل تقصد سيدا؟

رد قائلًا:

- نعم سيدا وهل يوجد غيرها بلاء على رأسي.

قالت ليل بقلق:

- وماذا سنفعل؟!.. هل ستبحث عنك وتنتقم؟

ربما هي آتيه لكي تنتقم منكِ أنت؟

قالت ليل:

- هل لأني هربت من سجنها؟.. أو ربما لأنك لفتِ بي.

- كل ما أحتاجهُ يا ليل حمايتك فلا أعلم ماذا ستفعل لو عثرت علينا.. مربانا خادمتها لها اتصال بالشياطين في قاع البحر كانوا يساعدونها في حمايتها إلى أن تجبرت سيدا وأنتِ الآن بنظرها أخذتِ الرجل الذي تُريد الارتباط بِه وصنع عالمها الذي لطالما حلمت بتحقيقه وهو ضم محيطي لمحيطها وتمتلك البحر بالقوة والشباب والسلطة.

قالت ليل:

- كل مخاوفي منصبة على عائلتي.. كما تعلم لم نخبرهم بتلك الرحلة ولا أعلم قوتها بعد خروجها أو كيف هي هيئتها الجديدة فلن تأتي بصفة حورية وتسبح فوق الأرض عارية.

يضحك رعد بصوت مرتفع:

- لقد تخيلتُ منظرها.

يلف يدهُ حول كتفها، واضعةً رأسها على كتفه:

- لا أُخيفُك بخوفي وسنكون حذرين.

https://t.me/art_of_book

عادا لمقر عملها، وعندما رآها وليد سأل أخته:

- هل يوجد مكروه؟.. لماذا أراك هكذا؟

ليل لا تحاول إثارة قلق أخيها، تُريد أن يطمئن فقالت:

- إني قلقة بشأن صديقتي.

رد وليد محاولا طمأنتها:

- ستكون بخير وإذا أردت أذهبُ معها للريف لأطمئن عليها وأعود.

رعد يقترب أكثر لوليد ويهامسهُ:

- أم أنك تريد الذهاب بدافع آخر وتريد حجة.

يلكزهُ وليد:

- ابتعد عني لا تفسد ما خططت لهُ.

يفاجئ رعد ليل ويطلب أخذ موعد لخطبتها من أخيها:

- يجب أن أتعجل في زواجي.. لا أستطيع مجابهة جيوش الشوق التي تغزوني كل ليلة قبل أن أنام.

احمرت وجنتا ليل، وهربت من أمامهُ مسرعة لمكتبها تاركة أخيها يتحدث عن موعد اللقاء، وأنهُ سيكون في يوم الجمعة بعد أيام من سفر صافي، إنهُ اليوم الذي تجتمع به العائلة.

- حسناً سأنتظر بفارغ صبري.. فأنتَ لا تعلم مدى حبي لليل.

بالفعل سامي عرف بأن الفتاة عادت لعائلتها، الفضول يقتُله عن المكان الذي كانت به، فيسأل مساعده مازن:

- وهل تعلم أين كانت؟

- يا سيدي غموض يلف هذا الاختفاء فقد أخبرني مسئول بالسفارة أن ليل وُجدت ملقاة بجانب أحد القوارب.

قال سامي:

- الغموض.. الغموض.. هذه الكلمة لازمتني كثيراً في قضايا اختطاف الأبناء فأنا تهت بين خاطفة قد ظلمت نفسها وأذتها بحجة الأمومة وفقدها.. وأم سرقت فرحة أمومتها.. وأخرى خطفت طفلة خوفاً من اهتزاز صورتها أمام مجتمعها الراقي وتخسر ذلك الزوج ومنصبه المرموق.. سأسافر كما قلت وأواجه ليل دون الذهاب لسلمى.

وصل سامي لوجهته، وبدأ يراقب ليل وخروجها من منزلها وصولاً للعمل، وبعد سويعات انطلقت برفقة رعد والجلوس على الشاطئ، اقترب سامي وسمع حوار ليل ورعد عن الارتباط والزواج، وكان يسمع اسم سيدا ولا يعلم من تكون؟!.. ولماذا سيدا تريد أن تضر ليل؟!.. رن هاتف رعد واستأذن ليل بالذهاب لبضع دقائق.

هنا دخل سامي وألقى التحية:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. هل لي بدقيقة؟

ترد ليل التحية بأدب:

- تفضل.

بدأ سامي يعرفها بنفسه:

- أنا سامي.. أعمل ضابط في المملكة العربية السعودية.. هناك موضوع أردتُ إخبارك به.. إنهُ متعلق بطفولتك.. أريد بعض الوقت لكي أقص عليك ما حدث.. هل نلتقي غداً؟

ليل وشيء من الغرابة:

- ما بها طفولتي؟!.. ما دخل السلطات الأمنية بها؟

رد سامي مجيبًا:

- إذا أردت معرفتها أنتظرك هنا لا تتأخري.. سأعود مساءً للمملكة إنني مرتبط بأعمال كثيرة.

ردت ليل:

- سآتي يا سيد سامي.. لا تقلق لن أتأخر فأنا أتوق لمعرفة ما هو متعلق بالماضي.

يستأذن سامي وينصرف، تشتت ذهن ليل كثيراً وهي تفكر، وعندما عاد رعد وأراد إكمال حديثه قاطعتهُ بأنها تعبة وتريد العودة لمنزلها، أرادت سؤال والديها ولكن عندما وصلت للمنزل رأت والديها يتحدثان بسعادة؛ فقررت عدم تعكير صفوهما، ألقت التحية عليهما واستأذنت للصعود لغرفتها، نامت ليل وهاجمها كابوسها المعتاد، ولكن هذه المرة كان أكثر قسوة، رأت الرجل الذي يبحث عن الطفلة قد سقط على الأرض وفارق الحياة، والمرأة بجانبه تبكي بحرقة وتخبره:

- لا تَمُتْ أرجوك.. ابنتنا ستعود لا تمت ابقى معي.

استيقظت ليل فزعة وقد تعرقت كثيراً، شربت بعض الماء، ودست رأسها في الغطاء؛ لعلها تهدأ.

https://t.me/art_of_book

لم تكن كعادتها على طعام الإفطار، الصمت، الوجه الشاحب، فسألتها والدتها:

- ماذا بكِ يا ابنتي؟

ردت ليل بإعياء:

- إني تعبة يا أمي.. أشعر بألم في رأسي.

تنزع سلمى وتنهض من كرسيها، تضع يدها على جبين ليل:

- لا يوجد حرارة.. تناولي مسكّن وارتاحي.

قالت ليل:

- حسناً يا أمي اعذني أرجوك.

وبعد الظهيرة استعدت ليل؛ لتلتقي سامي، وعند خروجها سألها والدها:

- إلى أين تذهبين يا ابنتي؟.. ألستِ تعبة؟!

ردت ليل:

- إني بخير يا والدي أريد رؤية صديقتي رجاء.

سلمى وقد بدت قلقة:

- لا تتأخري سأقلق عليكِ.

خرجت ليل وهي تجر الخطى، تفكر بما يؤرقها، قلبها مقبوض، وفكرها مشغول، ورعد يتصل وهي لا تجيب، لا تريد الكذب عليه أو إخفاء أمر اللقاء، أيضاً لا تريد منه الحضور؛ فهي لا تعلم ماذا يريد الرجل منها.

توجهت للشاطئ، وكان سامي ينتظرها، ألقت التحية، طلب منها الجلوس وسألها:

- ماذا تشربين؟

شكرته وأخبرته أنها على عجلةٍ من أمرها.

في البداية سألها سامي عن حالها ثم فاجأها بسؤال:

- كيف تعاملك السيدة سلمى؟

أجابته مبتسمة:

- إنها أمي.. وهي حنونة جدًا وتخاف عليَّ كباقي الأمهات.. ماذا تريد أن تخبرني؟

https://t.me/art_of_book

رد سامي:

- أخبرتك بالأمس أني كنتُ أعمل في قضية اختطاف أبناء بعد ولادتهم وعندما عادوا لذويهم بعد عشرين عاماً وأكثر اعترف أحد الأبناء بأن هناك طفلة في عمر الثلاث سنوات تلعب بعيداً عن ذويها.. أمرته والدته التي هي مختطفتهُ أن يأتي بتلك الفتاة لتلعب معه.. وبعدها حلت تلك الطفلة وركضت بها بعيداً عن الأنظار.

انتعض وجه ليل وتذكرت كابوسها:

- ماذا تريد أن تخبرني؟

سامي وهو يتنهد للوراء:

- ليست عائلتك.. إنك الطفلة المختطفة.

تقاطعه وهي تنهض بأن يصمت وتقول بغضب:

- ماذا تقول يا رجل؟!.. لا أحتمل.. اصمت أرجوك.

رعد يقف من بعيد يجول بناظريه باحثاً عنها، قال وهو يقترب من ليل:

- أين أنت منذ الصباح.. أهاتفك ولا تجيبين؟

ينظر لسامي وهو متعجب:

- مَنْ هذا الرجل يا ليل؟

سامي ينهض ويقترب من ليل ويهمس:

- سأصمت وسأعود لبلدي هذا المساء وأنت ستكملين حياتك مع هذه العائلة كما يريدون هم.. وليس كما تريدين أنت.

يدفعهُ رعد:

- ابتعد عنها بماذا تهمس لتغضبها هكذا؟!

تقف ليل وتنصرف تاركة رعد وسامي خلفها، عبس على وجهها من هول صدمتها وكأنها غريبة ببلد غريب لا تتقن لغة أهله.. غربة وأنين داخلها وماض قد بتر قبل أن يبدأ، كيف لها الحياة مع أناس لم يمتوا لها بصلة، وأين أمها وأبوها، استدارت وعادت لسامي تسألهُ:

- أين هم عائلتي؟

- والدتك تتلقى العلاج بمستشفى في الدمام ووالدك توفي بعد اختطافك بأيام.. لم يحتمل فقدانك.. إن أردت المساعدة ستجدين معلوماتي في هذه البطاقة وسأدلك على كل شيء.

https://t.me/art_of_book

رعد وهو يمشي خلفها:

- من هذا الرجل؟.. وماذا يريد منك؟.. ولماذا تأخذين معلوماته؟.. هل هو حبيبك السابق؟

تقف بمنتصف الطريق وتشيح بيدها في وجهه:

- اذهب الآن.. لا أريد رؤية أحد أمامي.. لا أعلم أين أذهب أو ما هي حقيقة ما يقوله هذا الرجل؟!

رعد يلحق بسامي ويمسكه بذراعه:

- انتظر يا سيدي أريد منك أن تخبرنا بكل شيء فليل تعيش صدمة كبيرة وأريد مساعدتها.. دعنا نجلس هناك وسآتي بليل ونتحدث.

سامي متفهم كثيراً لهذه المواقف؛ هز رأسه:

- حسناً سأنتظركما.

رعد وهو يمسك ليل بيدها:

- انتظري يجب أن نفهم القصة كاملة وبناء عليه نستطيع فك رموز لغز الاختطاف.

اقتربت من سامي بخطى متثاقلة محاولة إبعاد القلق الذي اجتاحها، وهي من اعتادت على القلق من ذلك الكابوس، ظنت أن الطمأنينة كمين ستقع فيه، أطرقت رأسها وعندما رفعته سالت دموعها معلنة حزنًا دفينًا على تلك الفتاة الصغيرة التي رأتها بمنامها.

- كيف أصدقك؟!.. ربما تكذب.

رد سامي:

- ربما أكذب.. صدقت.. تركتُ بلدي ووظيفتي وعائلتي وتكبدت مصاريف السفر والإقامة لكي أكذب عليك يا ليل.. هل يعقل هذا؟!

تقف ليل وتنظر لأمواج البحر المتلاطمة وكأنهُ يشاطرها الحيرة، ويضرب أمواجه بالصخور، تنهمر دموعها، ورعد يربت على ظهرها محاولاً تهدئتها، يقترب سامي منها ويقول:

- لست الوحيدة يا ليل التي وقعت في الاختطاف.. كانت بين يدي قضية واحدة وبعد البحث أمست قضايا وتكشف عن أمورٍ من بينها قصتك.

- وكيف استطعت أن توصل الأبناء لذويهم؟

https://t.me/art_of_book

رد مجيبا:

- سجلات قديمة.. وبلاغات لأطفال اختطفوا بعد الولادة.. عمل الأبناء والآباء تطابق DNA ومن هنا وصل الأبناء لذويهم.

اقترب رعد يمسح دموعها محاولًا تهدئتها:

- في أعماق البحر واجهنا صعاباً كثيرة وتجاوزناها معاً.. ألا نستطيع أن نتجاوز هذه العقبات؟

صاحت ليلى بوجهه غاضبة:

- أكاد أختنق فأنا بمنتصف الطريق.. أمامي والدي وأمي واخوتي وحياة اعتدت عليها.. وخلفي ماض مظلم لا أعلم عنهُ شيئاً.

تنظر للظابط وهي غاضبة:

- لماذا أخبرتني بهذا؟

رد بكل هدوء:

- إنهُ عذاب الضمير الذي يلازمني بعد معرفة قصتك ومن هي السيدة التي سلبت منكِ طفولتك؟!.. لم يكن ينقصها شيء وعند خطفك دمرت عائلتك.. لم يهنأ لي بال.. حاولت السفر بطريقة رسمية.. ولكن

منعت فالرجل منصبه كبير في الدولة وأمر كهذا قد يؤثر.. وعندها تحريت لسنتين عنكِ وعن عائلتك إلى أن انتهيتُ بسلمى في جدة بعد فقدانك.. لم تنكر أبداً بأنها اختطفتك بل أمرتني بألا أعود فالتي ابحث عنها مفقودة.

تنهار وتسقط على الأرض، تبكي حالها، جميع ما بداخلها ممزق، أقامها رعد على قدميها، وبدأ يسندها لتقف، يجلسها على الكرسي، ثم يسأل رعد:

- احكي لنا كيف تم اختطاف ليلى؟

- سأخبركما كيف اختطفت الطفلة سعاد.

تنظر بغضب لسامي وهي تمسح دموعها:

- أنا سعاد؟

يهز رأسه إيجابًا:

- نعم.. عندما كان عمرك ثلاث سنوات خرجت مع عائلتك للحديقة كما جرت عادت والديك في الإجازة.. فهو رجل مُغترب ويعمل مهندس لشركة نفط داخل السعودية وفي الدمام خاصة.. هناك خادمة طلبت منها سيدة أن تخطِف لها فتاة بعمرك.

تقاطعه ليل:

- هل السيدة أمي؟!

هزت رأسها:

- أقصد سلمى؟!

رد سامي قائلاً:

- نعم سلمى التي فقدت ابنتها ليلى غرقًا أثناء دراستها.. أهملت الطفلة ومائت.

قالت ليل:

- التي هي أنا؟!

قال سامي:

- ليل ابنة سلمى المتوفية وأنتِ سعاد الفتاة المختطفة.

أشارت له بالصمت:

- سأوافيك قريباً لأرى أمي.

وعند عودتها طلبت من رعد أن يذهب معها في رحلتها، قال رعد وهو يحاول أن يهون عليها مصيبتها:

- سأذهب معك لآخر العالم ولكن عديني بأن تكوني قوية.

قالت بسخرية:

- ومن أين يستمد الإنسان قوته سوى من عائلته.. وأنا أسقط وأنهار لأن ليس لدي عائلة.

- الجميع يا ليل عائلتك ويحبونك ربما هناك سبب لجعل سلمى تختطفك من عائلتك فنحن لم نواجهها بفعلتها.

قالت ليل:

- سأذهب للدمام وأتأكد من كلام الضابط سامي وأبدأ بعدها بمواجهة أمي.. ولماذا فعلت هذا بي؟

وفي المساء طلبت ليل من والدها الذهاب والسفر لصديقتها صافي؛ تريدالاطمئنان على صحتها، سمح الوالد لها وطلب من وليد مرافقتها، رفضت ليل بحجة أن الريف لا يوجد به نزل وهي تريد ان تسكن بمنزل صافي، والرحلة ستطول إلى أن تفاتح عائلتها بموضوع مرضها، سلمى

https://t.me/art_of_book

وهي تقترب من ليل وتطلب مرافقتها! ليل تبتعد وتدير ظهرها، لا تريد النظر بوجه سلمى:

- أستطيع حماية نفسي لا تخافوا.

تستأذن لتصعد غرفتها، خالد يسأل أفراد عائلته:

- هل منكم من أغضب أختي؟.. إنها على غير عادتها

- ابنتي غريبة الأطوار اليوم فهي لم تضمني كعادتها عند عودتها من الخارج وهي لا تنظر في عيناي عند محادثتي لها.

قال وليد مبررا تصرفها:

- ليل تتألم من أجل صديقتها فلنحترم قرارها بالذهاب وحدها ولربما أجواء الريف تفيدها.

جهزت حقيبتها وأوراقها وهي تنظر لاسمها وتحادث نفسها:

- هل من المعقول أن اسم يغير حياة الإنسان كوني ليل المتوفية.. وفي سجلات السعودية سماء المفقودة.. وأنا أبحث من أكون؟!.. بداخلي غربة تبعدني عن عائلتي وتفتتني في عائلة لا أعرفها.. وبلد ليست ببلدي.. أجهل الانتماء هذا المكان وما هو الاستقرار النفسي؟!.. إني لا أشعر به.. هل من الممكن أن أعود كما كنت؟!

خرجت في الصباح برفقة أخيها وليد دون أن تودع عائلتها أو تلتقي بأحدهم، آثرت الوداع، وخافت أن تنهار أمامهم وتبوح بسرها، ظلت صامتة طوال الطريق وداخلها يتحدث بصوت لجوج، فعقلها يصدق ما قالهُ الضابط.. وقلبها ينفي ويتهر، ووليد يتحدث محاولاً أن يُنسّي وحدتها إلى أن وصل للمطار، فطلبت منه الانصراف دون وداع، خرج رعد أمامها وأمسك بيدها، وكان يريد أن يسعدها بكلمة فقال:

- وكيف تجرى الرحلات الجوية؟.. هل هناك حبال نربطها؟

ابتسمت ليل وهي تتذكر ما مضى:

- دعنا ننطلق ونحلق في السماء هناك قصة أخرى ستحاك على هذه الأرض.

داخل الطائرة الصمت سيد الموقف، فقط كانت تضع رأسها على كتف رعد ودموعها تنهمر دون توقف، ذكريات جالت مع والدتها سلمى ووالدها، وكيف هو حنو قلبيهما؟.. فكيف لا يكونا والديها؟

استقبلهم سامي في المطار ورحب بليل وصديقها رعد، واستقل سيارته للفندق، وطلب منها أن ترتاح في يومها الأول وغداً مستبدأ إجراءات الفحص، طلبت ليل منه الذهاب للحديقة التي خطفت منها.

دمعت عيناها ثم قالت:

- اتضح كابوسي المزعج.. من السيدة التي يلفها السواد وحملتني وجرت بي؟.. لماذا لا أتذكر شيء؟

رعد يربت على ظهرها:

- كفاكِ.. تألمت بما فيه الكفاية.. لنذهب ونرتاح وفي الغد ستشرق شمس جديدة تُطِل على وجنتيك لترسم ضحكة يملئها التفائل.

جرت خطاها وداخلها يضحك على كلمات رعد، وكيف للشمس أن تشرق وداخلي كهف مظلم معتم؟!.. حضر سامي وأخذ ليلى للمستشفى لعمل التحليل الذي سيكشف هويتها، وطلب الطبيب أن ينتظروا عدة أيام لظهور النتائج المخبرية، نظرت لسامي:

- أين هي؟

- من تقصدين؟.. أمك.

قالت ليلى:

- لا أعلم من تكون.. ولكن أريد رؤيتها.

رد سامي قائلاً:

- انتظري لحين ظهور النتائج فربما يكون عكس ما نظن.

خرجت ليل ممسكة بيد رعد وتنظر:

- أين نذهب؟

قال رعد بحب:

- يجب يا ليل أن تتحلي بالصبر قليلاً.. كوني قوية.

قالت بحزن:

- وكيف هي القوة وأنا بهذه الحيرة؟

- سنخرج ونتنزه ألا تتذكرين في البحر كيف كنا نقضي أيامنا ونحن ننتظر.. كنا نتجول ونحادث هذا وذاك إلى أن انقضت وها نحن معاً.

قالت ليل:

- لا أخفيك أني اشتقت وتمنيت لو لم أخرج من البحر وأرى هذه الأيام القاسية.. كنت أتوق للخروج من أجل أمي وأبي.. انظر الآن ماذا أفعل؟

رأت عرافة تجلسُ على البحر، وتحمل بيدها أصداف وأحجار وهي تطلب من الفتيات أن تنظر لهم بالمستقبل، نظرت لرعد وسألته:

- لماذا لا ندعها ترى المستقبل؟

- في الماضي أخبرتك أن البحر طعامهُ الغريق عبرتني وقلت أنها خزعبلات والآن علم الغيب بيد هذه السيدة؟!

ردت ليل بضيق:

- دعنا نتسلى يا رعد فأنا لا أؤمن بها.

ذهبت تجاه السيدة وقالت:

- أريد أن تنظري لمستقبلي يا سيدتي.

نظرت العجوز وقد ملأت وجهها التجاعيد، ودعجت عيناها الصغيرتان بالكحل الأسود، فقالت لليل:

- خذي هذه الأصداف وضعيها هكذا بين يديك وهزيها ثلاث مرات ثم انفثي داخل يدك وانثريها أمامي.

فعلت ليلى ما طلبتهُ، وإذا بالعجوز امتعض وجهها وتكتلت أجفانها ونظرت للفتاة؛ خافت ليلى وقالت:

- ماذا رأيت؟

- لا شيء يا ابنتي خذي نقودك واذهبي.

تركت ليلى النقود وانصرفت حزينة:

- ما بالها؟.. لم تخبرني بشيء.

رد رعد قائلًا:

- إنها لا ترى أمامها كيف لها رؤية مستقبلك؟

يضع إصبعه على أرنبة أنفها ويقول:

- اضحكي أيتها العابسة.

مرت الأيام وليلى ورعد يتجولان بالنهار وينامان الليل وهي تعد الساعات، اتصل سامي بأن توافيه في الصباح لتعرف نتيجة تحليل DNA.

لم تنم ليلتها، تتقلب في فراشها ثم تقف أمام النافذه الى بزوغ الفجر، فقامت تصلي وتدعو الله، ألا يشقيها وتكون هي الفتاة المختطفة.

طرقت الباب؛ ليستيقظ رعد، وعلى عجل انطلقت للمستشفى لتجد سامي بانتظارها، فهو أيضاً شغوف لمعرفة الحقيقة، تقدم الطبيب وهو ينظر في وجهه ليلى، وليلى بوجهٍ مشدوه تريد منه أن ينطق.

- إنك ابنة السيدة سمر.. فهناك تطابقٌ بنسبة تسعين بالمئة.

جز رعد على أسنانه وكتم غيظه، وليلى جلست على الكرسي تحاول أخذ نفس يعيدها للحياة بعد أن توقف قلبها من هول ما سمعت.

جثى سامي أمامها على ركبتيه:

- أرجوكِ كوني قوية فنحن في بداية المطاف.

قبضت على كفه وقالت:

- خذني إليها.. أرجوك.

- سنذهب.. انهضي الآن.

https://t.me/arabookbook

حاول هو ورعد مساندتها في النهوض حتى استقامت على قدميها، وانطلق بهما سامي إلى مستشفى الأمراض النفسية، وعند رؤية ليل لمسمى المستشفى سألت سامي:

- من يقطن هنا؟

سامي وهو يفتح الباب لها:

- سمر والدتك.

مسحت دموعها المتساقطة دون توقف أو سابق إنذار، أشار لها من بعيد على رقم الغرفة:

- في نهاية الممر تجدين والدتك ونحن هنا بانتظارك.

جرت الخطى، وكأن الممر لا يريد أن ينقضي أو أنَّ خوفها من اللقاء جعلها تُبطِيء خطاها، كان الباب مواربا وشبه مفتوح، استَرَقت النظر قبل الدخول، فإذا بامرأة في الأربعين قد كسى الشيب رأسها، وداهمتها التجاعيد على حين غرة منها.. فهي شبه حية، تجلس على كرسي أمام النافذة وتحمل بيدها صورة تضمها لصدرها، ومنضدة عليها ملابس طفلة مصفدة فوق بعضها، دفعت الباب بهدوء وإذا به يطلق صريرا، إنهُ صديء وقديم، وأثاث الغرفة قديم جدًا، سرير ومفرش أبيض قد غسل

آلاف المرات إلى أن اصفر لونه، التفت السيدة للفتاة ولم تعرها انتباهه وعادت تنظر للنافذة تكمل تأملاتها، اقتربت ليل ووضعت يدها على كتف السيدة، انتفضت المرأة وسألتها:

- من أنت؟.. وماذا تريدين؟

أجابتها جزعةً:

- أنا ابنتك.. سعاد.

دفعتها المرأة:

- يا لك من كاذبة.. انظري.. ابنتي هنا داخل هذه الصورة ووالدها من يضمها لصدره.. نحن أسرة سعيدة.. أنا أنتظر زوجي أن يعود من العمل وابنتي نائمة بحجرتها ستستيقظ عندما تسمع صوت والدها.. تستقبله عند الباب وهو يحمل بيده الحلوى والمشروبات التي تحبها.. وأنا كالعادة أنهره فإنهُ يفسدها بدلاله لها.. وأنت كبيرة جداً لتكوني ابنتي.. هيا انصرفي.

تبكي وصوتها مخنوق بداخلها تحاول أن ترتمي بأحضانها وهي تبكي:

- أنا ابنتك.. ابنتك كبرت بعيداً عنكم.. لابد أن والدي كان يحبني كثيراً ويحنو علي.

https://t.me/arabookstore

سمر تدفعها وتأمرها بالذهاب:

- لستِ ابنتي يا هذه..انظري ابنتي الجميله هنا.. كما أخبرتك هي نائمة انظري.

تشير إلى السرير وهي تغطي لعبة رثة وقديمة، متوهمة أنها ابنتها، انطلقت ليلى وإذا برعد ينتظرها في الخارج وارتمت بأحضانه وهي تبكي.

- ماذا حل بكِ؟.. لماذا تبكين؟

سامي يقترب منهما:

- لم تتعرف عليكِ؟.. التمسي لها العذر فهي مريضة... والدتك توقف عقلها في ذلك اليوم فهي تنتظر الطفلة والزوج معاً.

ليلى تحاول استجماع نفسها وتحاول إسكات نهيج بكائها، تمسح دموعها:

- كيف ستشفى؟.. أريد التعرف عليها.. أريدها أن تعرف أنني ابنتها.

- دعينا نتحدث مع الطبيب وحينها سيخبرنا ماذا نفعل.

الطبيب عاصم يقلبُ ملف سمر، ويخبر ليلى بأن والدتها لا تريد الخروج من صدمة فقدان ابنتها وزوجها، جاءت عائلتها؛ لكي تأخذها ويعودون لبلدهم ولكن سمر رفضت، وخوفاً من انتكاس حالتها سوف نحاول أن تنهي حياتها لو أرغمت على السفر، وتغيير ما يوجد بعقلها، حاولنا كثيراً أن تخرج لتستنشق الهواء وأن تتحدث مع باقي المرضى ولكن دون جدوى.. فهي تضع دمية ابنتها في السرير وتنظر من خلال النافذة تنتظر قدوم زوجها.

- هل أستطيع أن أجعلها تسافر للعلاج عنوة.. وبعدها ستفهم أن من معها هي ابنتها.

سامي يهز رأسه:

- لا تستطيعين.. انا والطبيب عاصم عملنا على إرسال تقارير سمر لصحات عالمية وجميعها أجزمت أن العلاج النفسي يأتي رغبة من داخل المريض.. سمر تقوقعت بإرادتها على ماضيها ولا تريد الخروج فإرادتها من الداخل تحفزها بأن زوجها لم يمت وابنتها لم تختطف في ذلك اليوم.

تحاول النهوض عدة مرات، لا تكاد أقدامها تحملها، يساعدها رعد في النهوض ودموعها تتساقط من الحيرة التي وضعت بها، تتجاوز غرفة والدتها وتراها تجلس على الكرسي تترقب من النافذة، ما أصاب ليلى هو

https://t.me/art_of_book

فقد حياتها في لحظي أزمتها ومن سأحاسب؟!.. أكملت يومها مع سامي وسألته

- أين أجد المرأة التي اختطفتني من عائلتي؟.. وكيف سأحاسبها؟

- لن تستطيعي يا ليل فالمرأة توفيت منذ سنتين وقبل وفاتها بدقائق اعترفت وأخبرتنا أنكِ خارج البلاد مع زوجة رجل مهم.

- أريد أن أحاسب سلمى أيضًا.

سامي محاولًا النهوض:

- هذه أبسط حقوقك.. كنتم عائلة وبتدخل سلمى والخاطفة تشتت شملكم دون ذنب لأحد.. قد أخبرتني والدتك من قبل.

تقاطعه ليل:

- هي ليست والدتي.

- ليست والدتك البيولوجية ولكنها ربتك وأحسنت إليكِ.. رأيتها في المستشفى مع زوجها وكانت قد ملأت يديها بالمحاليل الطبية المسكنة.. سقطت ظنًا أنها فقدتك ولن تراكِ.. أخبرتني أن فكرة أخذك من عائلتك هي فكرة الخادمة ولم تكن تبحث عن طفلة لتبدلها مكان

ابنتها.. بل كانت تبحث عن عذر يشفع لها إهمالها لابنتها.. وعندما وسوست لها الخادمة ولها سابقة في اختطاف طفل من والدته بات الأمر سهلاً عليها.. فخططت وسلمى من دفعت لها النقود.. فكري يا ليل ماذا سنفعلون؟.. قتلك عائلتك وهنا ليس لك سوى أم مريضة لا نعلم كيف ستشفى.

- هل تقصد بأن أعود وأعيش معهم دون إخبارهم؟

رد قائلًا:

- تستطيعين مواجهة سلمى ومعاقبتها ولكن إذا فضحت المرأة أمام ابنائها فكيف تستطيعين إكمال ما تبقى من حياتك.

رعد يقاطعه:

- أنا يا سيد سامي سأكمل حياتي معها ولن أتركها ما حييت ولن أعترض على قرارها.

تنظر ليل لرعد:

- هل نتزوج؟

https://t.me/art_of_book

قبض على كفيها:

- ستتزوج في الحال إذا أردت ولكن ماذا بشأن عائلتك؟

ردت ليل بحزن:

- لن أعود إليهم.. سأواجه سلمى ويكون شرط صمتي أن تتركني وشأني.

يودعها سامي ويخبرهما بأن والدتها أمانة لديه وسيطمئن ليل عليها، شكرتهُ ليل وودعته، وأمرت رعد بأن تسافر لصديقتها صافي؛ كي تطمئن عليها، أقلعت الطائرة، وحطت بالمطار، وليل لم تخبر عائلتها، فقد أكملت رحلتها واستقلت القطار للريف؛ لتلتقي صديقتها وتطمئن عليها، وصلت وهي تتجول في الحقول، وتشتم رائحة الورود، الأجواء باردة ونسماتها بعبيق الأشجار ورائحة الأرض، وهي ممطرة تبعث بداخل النفس الشجن للطبيعة، رعد وهو يقلب رأسهُ في الأشجار العالية، ويستمع لأصوات العصافير، يسأل ليل:

- هل هذه الجنة التي حدثتني عنها؟

تضحك ليل بقهقهة مرتفعة:

- لم يتبق لك سوى السماء لتصعد إليها.. بالأمس البعيد كنت تحوب البحار والآن فوق الأرض والجنةُ في السماء.. ولا ينالها إلا من خاف ربهُ واتقاه.. دعنا نبحث عن مخبز أم صافي.

رأى رعد مجموعة من الصبية يتهامسون، سألهم:

- أيها الفتيان.. أين هو منزل صافي؟

نظر الفتيان في الرجل، وهربوا مسرعين، تبعهم على مهل لينظر ماذا حل بهم، وإذا بأناس يتبعون جنازة محملة فوق الأعناق والجميع يمشي بحزن وكآبة؛ جفلت ليل من منظرها، وتشبثت بذراع رعد، واختلست النظر من خلفه، أمسك بفتاة صغيرة وسألها:

- جنازة من هذه؟

- جنازة الفتاة التي يحبها الجميع.. صافي.

خرجت ليل من خلفه بصدمة:

- ماذا تقولين؟!.. كيف توفيت صديقتي؟

https://t.me/art_of_book

جرت الفتاة تلحق بالوفد الذي يحمل النعش فوق الأكتاف، ولحقت بهم، ليل تركض وتركض حتى اقتربت أكثر، وأمسكت بيد سيدة شابة يسندها النسوة، استوقفتها ليل وسألتها:

- أنت والدة صافي؟

نظرت المرأة وهي تبكي، ورد بعض النسوة:

- إنها والدتها.. ما بالك أيتها الفتاة تستوقفينا؟

- أنا ليل يا سيدتي.. صديقة ابنتك. ضمتها المرأة، وقد عرفتها من خلال ما كانت تسمع من حديث ابنتها عنها، وكيف احتوتها ليل وعائلتها في الغربة ولم تشعر بالوحدة، لم يسمع حينها سوى نشيج بكائهم، وراحت ليل تتبع الجنازة وتخرج ما بداخلها من حزن قد تراكم فوق بعضه، تذكرت مرض صديقتها، وكيف كانت تضحك محاولةً نسيان آلمها، وضعت صافي بكل هدوء داخل القبر، وغطى عليها بالتراب، وعاد الجميع للمنزل بعدما قضوا سويعات يدعون أمام قبرها، ويتذكرون جمال أفعالها، ويثنون على طيبة قلبها، رأت ليل شاباً يحتضن القبر ويبكي بحرقة، عادت ليل مع والدي صافي لمنزلها، وحين دخلت طلبت من السيدة أن تبقى في غرفة صديقتها، أشارت أم صافي للغرفة، وعند دخولها وجدت على المنضدة صورة تجمعهما ببعض ، ضمتها ليل

وبكت كثيراً، ووقعت بيدها رسالة كتبت بخط يدها، كانت قد سقطت بجانب السرير، وكأن صافي أرادت أن تعطيها لأحد، كتب من أول السطر..

الفراق.

عندما أتجرعُ ألمه أحس بضيق في التنفس، هناك من هو تائه.. أنت.

بدون ما نشعر.. نعتزل.

نسرح.. تأخذنا الأفكار لشاطئ الذكريات.

كنت أقفز من وردة لوردة.

فراشة مبتهجة.

عندما قابلتك صدفة تخللتني سعادةٌ كدت أظنها أبدية، استشعرت جمال ابتسامتي، فقلت لي:

- من أين أنت يا جميلة؟

قفزت مبتعدة عن مديتك، شددت يدي تمسكني وتسألني:

- لماذا الهرب؟

https://t.me/art_of_book

وفي صباح ذالك اليوم الماطر حملتُ حقيبتي ومظلتهُ وجاكيتهُ الشتوي بيدي، خرجتُ للقطار.. وإذا به ينتظرني، أرجعتُ مقتنياتهِ وقلت:

- لم أسرقك.

أعاد ابتسامتهُ الساخرة:

- بلى سرقتني.

زجرتُ غاضبةً:

- ها أنا أعيده.

قاطعني:

- إنهُ.. إنهُ.. قلبي.

هربتُ منه، وصعدت القطار تاركتاً خلفي الريف وجماله، وها أنا أذهب للمدينة، استرقتُ النظر من شباك القطار، نظر.. ابتسم.. ثم هز رأسه.:

- سنعودين.

سر تبسم ابن التاجر.. بأن فتاتهُ الريفية لعبه.

بدأ يسعى لخطبتها، وعندما حضر وجد والدها يستقبلهُ بحفاوة وترحيب، كيف لابن تاجر القدوم لمنزلنا الريفي؟!.. جلس على الأريكة بكل وقار، بدأ يضبط هندامه، وعندما احتسى قهوته قالها بصريح العبارة:

- قلبي في منزلكم.

رد عليه الوالد بشيء من القسوة:

- قلبك يحتضر في فراشه.

هرع مسرعاً لغرفتها، وجدها ممدة على سريرها تئن، مسك يدها وسألها:

- ما بك يا جميلتي؟!

ردت بألم يعتصرها:

- المرض ينهشني منذ سنتين.. وها هو سيفتك بي.

تسارعت دموعه بغزارة، رفعت يدها بثقل ومسحتها:

- لقد تذكرت المطر بدموعك تلك.

رد بنظرات الخوف:

- أريد أن أشتم عطرك.

مازحتهُ تصف نفسها:

- إني فراشة ولستُ وردةً.

- ألا ترحمين قلباً تفطر بحبك؟!

- ليت القدر يرحمني.. أو.. ليت القدر يمهلني.

- لو أمهلك القدر يا حياتي؟

سائلاً إياها.

- أقضي جُلّه معك.. أتزوجك وأنام بأحضانك.

- أرتوي من عطفك وحنانك.. أصنع لك ذكريات تبقى بذاكرتك بعد رحيلي.

بعد أن قرأت ليلى رسالة صديقتها حزنت كثيراً، وبكت شوقاً لعدم قدرتها على توديعها، ظنت ليلى أن صافي ستعود وتكمل رحلتها العلاجية، ولكن حظها السيء فلك يهاجرت للباب، تريد الخروج والبحث عن آدم لتعطيه الرسالة، وعند وصولها للباب وجدت وليد أمامها، دهشت لرؤيته:

- ما الذي جاء بك؟.. ولماذا تتعقبني؟

- قلق الجميع عليك فأنت لا تجيبي على اتصالات عائلتك.. جئت كي أعيدك للمنزل.. فهل لديك ما يمنعك؟

- نعم لدي.. رحلت صديقتي عن هذه الدنيا وأريد أن أبقى مع والدتها.

قال وليد بصدمة:

- ماذا تقولين؟!.. صافي توفيت؟.. لم نكن نعلم أن حالتها ساءت.. أصابنا القلق لغيابك وأيضًا رعد اختفى بعد رحيلك.

مدت يدها تدفعه للابتعاد:

- يجب أن أذهب للمقبرة حيث قبر صافي لابد أن آدم مازال هناك. ركضت كثيراً إلى أن وجدته بكل حزن يتوسد القبر ويرثي حبيبته بشعره،

https://t.me/art_of_book

هو بين اليقظة والإغماء وكأنهُ جسد قد قلعت من داخله روحه، نظر باتجاه ليل وقال لها:

- انظري.. يفصل بيني وبين أحضانها حفنة من التراب.

مدت ليل رسالتها:

- انظر ماذا كتبت لك.

أخذ آدم يفتح الورقة ويقرأ، تارة يبتسم وتارة يصرخ متوجعاً، نظر باتجاه وليد وسأله:

- هل لديك قلم يا هذا؟

أجابه وهو يمد يده في جيبه ويخرج قلمه:

- تفضل يا سيدي.

قلب الورقة وبدأ يخط ما يمليه داخله..

بعد رحيلك.. كرر خلفها.. سأضع وسادة تمتص دموعي، ووسادة أطبقها على قفصي الصدري بكلتا يدي وأئن من الحنين وفراق السنين، سأحمل صندوق أشعاري.. سأفتحُ أظرفي وأقرأ رسائلي لجميلتي، كتبتها على أمل أنكِ ستعودين، مرت سنوات من الشوق والسير بالطرقات،

الوقوف تحت الشجرة الماطرة، في كل ليلة أشتم معطفي، ألم أخبرك إنني كنتُ أتوسده، وإذا زاد ذلك الشوق أضمهُ وأستند على أريكتي، انتظري لا تغمضي عيناك، اسندي رأسك على كتفي.. لم يحن الرحيل، ابقي.. لقد جلستُ ببستان وردك أحكي لهُ عن جميلتي التي رحلت، غابت عن ريفها، كنتُ أقص للعصافير عن ابتسامتك البريئة وتلك الغمازة التي عبثتُ بها، حوراء عيناكِ، وضعتني باختيار، هل خلقتِ من طين؟!.. أو من غبار الورد خلقت؟!.. أتذكر شعرك وهو منسدل على أكتافك، أسود كأنهُ ظلام ليل بدون قمر، والقمر وجهكِ المنير، كنت تحتضرين أمامي، تتنفسين بصعوبة، أرجوك.. أتوسل إليك، أريد سماعها من شفتيك، قولي أحبك.. أحبك.. زفرتِ زفرة أليمة.. آآآه.. اطلبي من قلبكِ أن يعانقني، اطلقي لهُ العنان، دعيه يسكن بروحي، لا تدعيه يرحل معكِ، قولي أحبك.. أحبك، سأحكي لك بعدما أغمضت الجميلة عيناها، فارقت حبيبها، من هول صدمته ضمها وهو يودعها، قلبه يعتصر ألماً، أعدتُ رأسك على وسادتك، ثم رأيت دمعة تخرج من مقلتيكِ؛ مسحتها وضممت يدك لقلبي، أغمضت بأصابعي عيناك، وغطيت وجهك الجميل، ثم وقفت لأسألك:

- هل يليق هذا الفراق يا جميلتي؟

https://t.me/art_of_book

جئت لأحطبك وها أنا أكفنك.. أجيبي، أي قدر هذا الذي حرمني إياكِ؟!.. لم أعصِ ربي ساعةً، كنتُ عبداً شكوراً، اكتفيت من غيابك والانتظار، كدتُ أخاف عليكِ زحام المدينة.. تتوهين بالطرقات، وهانا أحمل جثمانك لأسير وخلفي جيش يبكيك، إني أرى الأزهار قد ذبلت، مالي أرى الأشجار تتخلى عن أوراقها؟!.. لماذا خيم الحزن على ربانا؟!.. طفل يتيم يبكيك، مسك بطرف يده نعشك كأن في عينه عتابٌ.. لم الرحيل يا رحيمة؟!.. كنتُ طفلاً بلا مأوى فاحتوتني بعطفها وآوتني بقلبها، وها أنا أبكي لفراقك حزناً.. ألمّاه، وإذا بامرأة تحمل فتاةً مولودة تضمها، لصدرها، تدفع بالطفلة أمام نعشك، انظري لها يا عطوفة، لقد أنجبتها، تذكري زوجي وهو يضربني، وداخل الطرقات يشتمني، وأنا أحمل طفلته بأحشائي بركلني، لقد حزنت لفراقك، كُنت أريد أن أريكِ سعادتي بعد طلاقي، لقد أمسكتِ يدي، ودفعتني للقاضي مدافعاً عن حقوقي وكأنكِ أم تدافع عن صغارها، مضت أشهر حملي مرتاحة البال، هانئة العيش، قريرة العين، ابتعدت الجنازة وانا أحملها، اقتربت للمقابر وكأن ضباب هبط من السماء أعدم الرؤيا، صُمت أذناي من عُلو أصوات العويل والصراخ لحظة فراق، وأنت يا جبلتي داخل نعشك ترقدين بسلام.

مد يده لتأخذ ليل الرسالة:

- هذا هو ردي على فتاة الريف التي فارقت ريفها وتركت خلفها حطاماً يستحيل أن تعيده الأيام.

ربتت ليل على كتفه وهو يحتضن القبر ويبكي:

- يجب أن تصبر وتدعو لها.. فالله كفيل بجبر ما كسر في داخلها.

جذبها من خلفها محاولاً مهدئتها، نظرت إليه:

- ما الذي أتى بكَ يا وليد؟

- افتقدتك يا أختي واشتقت لرؤيتك.. لماذا هذا الجفاء؟!.. لم ترديّ على اتصالاتنا ولم تجيب على رسائلنا والذي أصابها القلق فكانت تلام بغرفتك وتحتضن كل ما يخصك.. ووالدي يحاول طمئنتها وهو يحتاج من يطمئنه.

ضمتْ ليل وبكت على كتفه وهي تردد:

- كيف لا تكونوا عائلتي؟.. وما العائلة إلا هكذا تفعل.

https://t.me/art_of_book

جذبها نحوه، ورفع رأسها، ومسح دموعها بكفيه:

- بماذا تهذين؟.. وعن أي عائلة تتحدثين؟

اقترب منه رعد وأخبره أنها تعرضت لصدمة بوفاة صديقتها، قال وليد وهو يعاتب رعد:

- وأنتَ أيضًا اختفيت ولم أستطع العثور عليك.

- لا أستطيع ترك ليلى بمفردها في مدينةٍ لا تعرفها.. فقررت اللحاق بها.

- حسنًا فعلت.

ثم نظر وليد لأخته وقال:

- هل يمكنني التحدث إليكِ؟

- نعم.. ماذا حدث؟

عند دخولهم لأحد المقاهي أخبرهم وليد بأن يعودوا معه بأسرع وقت ممكن.

https://t.me/art_of_book

ليل تقف بهلع:

- لماذا؟!.. ما الذي حصل؟

رد وليد مجيبا:

- تعرضت والدتي وهي نائمة بفراشك لطعنةٍ بسكين مسموم من امرأة أو شبح.. شيء لم تظهره الكاميرات بشكل أوضح.

تقفز من مكانها خائفة:

- وهل ماتت؟

- لم تمت ولكنها فاقدة للوعي والجميع بانتظارك.

@ART OF BBOK

صمت قليلا ثم تابع:

- من دخل كان يريد الانتقام منكِ يا ليلى.

هز رعد رأسه وكأنة عرف أن الذي فتك بالسيدة سلمى إنما هي سيدا، خرجوا على عجل باتجاه القطار والعوده للديار، نسيت ليلى من تكون سلمى ولم تتذكر سوى الأم الحنون التي كانت تهتم بأدق تفاصيل حياتها، لم تؤذها يوماً، ضجيج تأجج داخلها، وعراك يحاول إبعادها عن تلك الأم المسمومة، رعد وهو يحتضن كفيها محاولاً إخماد ما تشعر به؛

خوفاً من زلةِ لسانٍ أمام وليد، صمتت وبكت بحرقة فهي لا تريد أن تؤذى والدتها بسببها.

عند وصولها للمستشفى رأت الجميع في خوف من إصابة سلمى بمكروه، ارتمت بأحضان والدها تبكي بصمت ولا يسمع سوى صوت نشيج بكائها، غص والدها وخنق بعبرته فما كان منه إلا أن ربت على ظهرها ليخبرها أن والدتها ستكون بخير.

رعد ترك ليلى مع عائلتها وذهب للبحر؛ لرؤية جلفار وسؤالها عن سيدا.

- أخبرتك يا هيلز أن سيدا هربت وهناك من ساعدها.. ميريانا وشياطين البحر.

أخبرها هيلز ماذا فعلت.

- طعنت والدة ليلى وهي نائمة بفراش ابنتها.. والمقصود هنا هو ليلى.. كيف أجدها يا جلفار؟.. المرأة ستموت إذا لم تبطل سيدا مفعول ذلك السحر.

- لماذا لا نخبر يا هيلز أم السعالف؟.. فهذا عملها.

قال هيلز بانتصار:

- أحسنت يا جلفار لم أفكر بهذا..

سأبحث عنها.

يذهب رعد وليلى لأم السعالف، وتخبرها ليلى بأن والدها قد تأخر من عمل أحدهم وتريد مساعدتها في عودتها للحياة.

- إني أخاف من والدك أن يؤذيني لو رآني بالمستشفى فهو رجل ذو سلطة وأنا بنظره امرأة تضر الجميع بأعمالها.

رعد:

- لا تخافي.. عندما يذهب الجميع سأتواصل معك لتأتي وتنقذي لسيدة سلمى.

وبعد الانتظار لساعات طوال أمر الطبيب العائلة بالعودة للمنزل.

دخلت زينب ورعد خِلسةً لغرفة سلمى، وإذا بالسم يستشري في د المرأة ببطء، ودرجة حرارة المرأة مرتفعة، وأطرفها تزرق من ردة، على عجل عادت زينب لمنزلها وأخذت ما يخصها من أعشاب

طحلبية وذَهَبَتْ إلى البحر وأَخَذَتْ ما يخصها من داخله، رعد يتبعها كالمجنون، لا يعلم ما تفعله!.. فقط يريد إنقاذ سلمى؛ كي لا تحزن ليلى.

جلفار تحضر ما طلبتهُ منها، وتبدأ بخلطه وجمعه داخل القارب والعودة سريعاً قبل بزوغ الفجر، تسللت مرة أخرى لغرفة سلمى ووضعت الأعشاب على مكان طعنتها بالسكين، وحاولت أن تغطيه؛ كي لا يراه الأطباء، انتظرت بزاوية تراقب من بعيد لحظات استفاقة سلمى، بدأت تحرك أطرافها وتفتح عيناها، دهش رعد وهو ينظر لها:

- كيف لها أن تشفى بهذه السرعة؟!

اقتربت منه زينب وأخبرته:

- إنها تتماثل للشفاء.. إن السم الذي وضعته سيدا بالسكين كان يتلف الأعضاء وتموت بالتدريج .. الحمد لله اطمئنوا ستعود كما كانت من قبل.

شكرها رعد ووعدها بمكافئة قيمة، اتصل رعد بليلى وأخبرها بأن خطتهما نجحت، ووالدتها ستستيقظ قريباً.

ليلى بدأت تجمع بصمت أشياءها وحاجياتها القيمة؛ تريد مغادرة المنزل بعد الاطمئنان على والدتها دخل مالك وسألها:

- ما بكِ يا ابنتي؟.. لماذا أراكِ هكذا؟.. مشتتة الذهن تحاولين أن تصدي عني.. هل أغضبتك بشيء؟!.. أتذكر عندما كنت طفلة كانت عيناك لا تنظر في عيناي وكأنك تخافين أن أقرأ ما بداخلها.. لم تتغير تصرفات طفلتي الصغيرة.

أجهشت بالبكاء، وضمها والدها، يربت على ظهرها ويمسح بيديه الحانيتين على رأسها:

- أخبريني ماذا بك؟

- توفيت صديقتي بالأمس وعندما جاء وليد فجعت بخبر والدتي.

قال مالك بهدوء:

- ستكون بخير لا تقلقي فسلمى قوية.

ترددت ليلى كثيرا، وتلعثمت.. هل تخبر والدها من تكون أو تصمت؟!.. تحاول استجماع شتاتها بنفسها ولكن دون جدوى.

خرجا في الصباح لزيارة سلمى، طمئنهم الطبيب بأن السيدة سلمى ستستيقظ قريبًا، بدأ جسدها يستجيب للدواء وحالتها مستقرة.

حَمِدَ مالكٌ الله؛ لنجاة زوجته، وسألهُ الطبيب:

- ألم يقبض رجال الأمن على الفاعل؟

- ليس بعد يا حضرة الطبيب فكما تعلم نحن نتعرض لهجوم من وقت لآخر ولم أتوقع أن يصل بهم الانتقام من عائلتي.

ليلى تلتقي برعد الذي لم ينم؛ يحاول البحث عن سيدا، وكيف تشكلت فوق الأرض؟!.. وكانت جلفار داخل البحر تبحث وتتقصى الأخبار حتى جاءتها درة وأخبرتها بأنها رأت سيدا تدخل البحر وكانت سعيدة وتخبر خادمتها بأن هيلز سيعود قريباً للبحر فلا يوجد شيء يجعله يتمسك بالأرض.

- حسناً يا درة شكرًا لإخباري فنحن نبحثُ عنها منذ مدة.. ستكون لكِ مكافئة من هيلز إذا أتيتِ بأخبار عنها وأين تقطن هي وجاريتها اللعينة.

تبتسم بفرح درة وتقول:

- سأخدم سيدي هيلز.. وأخبريه بأن أكون جارية بقصره.

***

وبعد عدة أيام تستفيق سلمى وتتحسن صحتها بشكل ملحوظ، شعرت ليلى بالرضا؛ فهي لن تكون سعيدة بوفاة والدتها، وفي المساء قررت أن تبيت معها بالمستشفى.

وبعد أن اختلت ليلى بوالدتها تجاذبتا أطراف الحديث حول رحلتها.

سألتها سلمى:

- كيف حال صديقتك يا ابنتي.. ومتى ستعود لتكمل العلاج؟

ردت ليلى بحزن:

- لن تعود يا أمي.. صافي رحلت ولن تعود أبداً.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. هذا قدرها لا تحزني يا ابنتي فصافي فتاة طيبة نقية من الداخل وستدخل الجنة بإذن الله.

قالت ليلى:

- وأنت يا أمي كنت قريبة من الموت جداً.. كيف كنت ستلقين الله؟

تعجبت سلمى من طريقة حديث ليلى:

- الأعمار بيد الله وهو من يغفر لي أخطائي.

- وأي خطأ سيُغفر؟!.. اختطاف فتاة من عائلتها؟.. وفاة والد الفتاة؟.. وجنون والدتها التي قبعت في المصحة النفسية مدة تسعة عشر عامًا؟.. وأنا التي لا تعلم أين تذهب بعد أن علمت بحقيقة أمرها؟

تحاول أن تعتدل بجلستها وتستقيم:

- من أخبركِ بهذه التفاهات؟

- الضابط سامي من أخبرني وعند سفري تحقق من أن سمر هي والدتي بتحليل DNA ورأيتها وتحدثت إليها.. ولكن سمر خرتني وكانت تضع دمية في سريرها ظناً منها أن الدميه ابنتها.. لك أن تتخيلي.. أقول لكِ أمي وهي سمر.. وصلت لمرحلةً لا أستطيع نطق أمي وهي من أنجبتني وذهب عقلها من أجلي ووالدي توفي لم يحتمل فقداني وأنا منحت السعادة لعائلة ليست عائلتي وخَيمت التعاسة على منزلنا الذي هدم بيوم اختطافي.. لم تعد العائلة له.. كيف تشعرين الآن بعد أن علمت ما خلفتهِ خلفك من دمار؟!.. هل ستدخلين الجنة؟!.. هل ستُوبين؟!.. هل سيغفر لكِ ذنبك؟!.. أجيبي.

قالت سلمى بضيق وحزن:

- كفى.. كفى.. أرجوك اصمتي.. لم أكن أعلم أن هذا سيحصل.

- لماذا نمتي بسريري في فترة غيابي؟.. أجيبي.

ردت سلمى بحب:

- خفت من فقدانك.. لم تجيب على اتصالاتي ولم أكن مرتاحة البال.. فقدتك مرة وخفت أن تتكرر.. كنت أصبر نفسي بالنوم بغرفتك وأنك ستعودين وتوقظيني ولكن دون جدوى.. عندما أحسست بحركة نظرت وإذا بفتاة بشعة تنقض علي.

قالت ليلى:

- لم أكن ابنتك وفعلت هكذا لأجلي؟.. وأنت الوحيدة التي تعلمين بهذا السر.. كيف هي الأم التي أنجبت وكنت بين ذراعيها؟.. كيف سرقت إحساس الأمومة وأنت أم؟

قالت سلمى بحزن شديد:

- أرجوكِ يا ابنتي سامحيني فلم تكن أذية عائلتك هي غايتي.. جهلت فعلتي.. لم أكن ناضجة كما يجب.. كنت فتاة لديها حياة ورفاهية.. النقص يؤذيها والإهمال لابنتي جعلني أفقدها.. فكنت كالغريق يبحث عن حل ينتشله والخادمة التي اقترحت أن تخطفك كانت تلح.. وتصر من أجل النقود أو من أجل غايةً بنفسها.. كنت ضعيفة الإرادة.. يحكمني

كبرياء زائف بأن زوجات السفراء والوزراء يجب أن تكون حياتهم دون أخطاء كي لا يعيب على والدك بزوجة فاشله قتلت ابنتها غرقاً بإهمالها لها.

وضعت يداها على وجهها:

- غارقةً!

بدموعها التي لم تجف منذ أيام، وكأن قنديل السعادة الذي تحمله قد طفيء من الداخل وسكب عليه ماء؛ كي لا يشتعل مرة أخرى، نظرت في وجه سلمى وقالت:

- ماذا أفعل الآن؟.. كيف أستطيع البقاء مع امرأة قتلت والدي ودمرت عقل والدتي؟.. هل أنتقم؟!.. وكيف لي الانتقام وأنا التي هرعت مسرعةً عند سماع دخولك المستشفي؟.. لماذا خفت عليكِ وأنا أعلم حقيقتك؟.. انظري يا سيدة سلمى.

قالت سلمى بحزن يعتصر قلبها:

- أرجوكِ لا.. لا تقولي لي سيدة وأنا أمك.

بنبرة حادة ومرتفعة:

- أنا من ترجوكِ بأن تصمتي.

تضع إصبعها على أنفها بلحظة انفعالية:

- اصمتي.. أصصص.. أنا من ستتحدث الآن.. لن أدمر عائلتك كما فعلت لعائلتي.. ليس قانوني الجزاء من جنس العمل.

(عامل الناس بأخلاقك وقيمك.. وليس بأخلاقهم)

- سأتزوج بصديقي رعد وسأخرج من ذاك القصر الفاره الذي طبق علي بجدرانه وأسقفه المرتفعة وكأنهُ صندوق ضيق يحجب الرؤية.. سأبتعد بحجة حياتي الزوجية.. سأشتاق لوالدي مالك.. ولإخوتي.. لن أشتاق إليكِ..

سأتذكر والدتي التي تقبع في مصحتها النفسية كلما اشتقت إليكِ.. سأبتعد.

سلمى تبكي بحرقة، تحاول أن تمد يدها، تحاول النهوض، تخور قواها، تعود للإغماء والسقوط مجددًا؛ تهرع ليلى للمرضة:

- أرجوك والدتي فقدت وعيها.. ساعديها.

قالت الممرضة:

- لا تخافي فهي لم تعد كما يجب لصحتها وعافيتها.. عندما ترتاح ستعود لوعيها.

ليلى:

- أريدك أن تعتني بها.. سأذهب للمنزل وأعود لاحقاً.

- لا تقلقي هي بخير وأنا سأكون بجانبها.

تشكر ليلى الممرضة وتذهب، ولكن لاتعلم أين تذهب؟!.. تتوه بالطرقات دون وجهةً معينة.. تجرها خطاها لمنزل رعد.. تقرع الجرس مراراً.. وها هو يفتح لها الباب، يفرك عيناه مراراً:

- من أرى؟.. ليلى!.. ماذا حل بكِ؟.. ولماذا أنت شاحبة هكذا؟

تدخل بصمت وترمي بجسدها المتهالك على الأريكة، وتنفجر باكيةً:

- صارحت والدتي بكل شيء وتركتها تعبة في المستشفى.

- ولماذا الآن؟.. الوقت والمكان غير مناسبين لأن تناقشيها في ماضٍ هكذا.

ردت ليلى:

- ماذا أفعل؟.. أخبرني.. إني تعبة جداً وكاهلي لا يحتمل كمية الأحزان تلك.. والدتي وحيدة بالطب النفسي.. ووالدتي التي ربتني أيضاً مريضة والسبب وجودي كابنه لكلتيهما.

يجثوا أمامها ممسكاً يديها:

- ليتني أستطيع حمل تلك الهموم عنكِ.. فماذا يكون الحب والارتباط دون مشاطرة الألم والحزن؟.. انتظري يا ليلى سيأتي اليوم الذي ستحل بهِ جميع مشاكلك.. سأتقدم لخطبتك.

ردت:

- وهل تظن أن الوقت مناسب يا رعد للزواج؟!

- معًا ستحل جميع مشاكلك.. تروي قليلاً لا تخبري والدك.. أخاف أن ينهار بيت الرجل بسبب خداع زوجته.. وتفقد والدتك حب أبنائها بالفعل المشين الذي وقعت به نتيجة اللحاق برأي خادمة جاهلة.

قالت ليلى:

- سأعود للمستشفى لأطمئن عليها. وهي تنصرف تنظر لرعد وتقول:

- هل وجدت سيدا؟

رد مجيبا:

- عادت للبحر وهناك من يبحث عنها ليزجها بالسجن لا تخافي.. جلفار تخبرني بكل شيء.. أراكِ تخافين على أمك سلمى كثيراً.

- إنها والدتي التي تربيت بكتفها ليست أماً سيئة فهي مثال للأم الحنون.. وأمي سمر أيضاً يبدو عليها أنها كانت أجمل أم ورقيقة الأحاسيس.. نظرًا لمرضها لم تحتمل مشاعرها أن تكمل بدوني.. إني أكره نفسي كثيراً.. أبدو سيئة لا أستطيع الاعتناء بهما.

رعد وهو يحاول أن يخرج معها:

- انتظري سآتي معك.

وعند وصولهما للمستشفى شاهدا سلمى تحاول النهوض من سريرها، وعندما دخلت ليلى كادت تسقط، وإذا بليلى تجري؛ لتسندها خوفاً عليها من السقوط والأذى، تضمها سلمى وتبكي:

- هذه ابنتي.. ابنتي التي ربيتها.

وهي تنظر ليديها تكمل كلامها:

- بيديَّ هاتين حملتها وأطعمتها وعلمتها القراءة والكتابة.. كيف لها أن تكره والدتها؟

تضمها ليلى وتبكي بصوت أجش:

- قولي لي ماذا أفعل كي لا أخسركما وأكون ابنةً بارة بكما.

يحاول رعد مساعدة سلمى وإجلاسها على الكرسي.

- انظري يا سيدة سلمى ليلى تحبك كثيراً ولا تريد الابتعاد عنكما وأنا سأقترح بأن نأخذ سمر لمصحة في أوروبا أو هنا بالقرب منكما ولا نعلم ماذا سيحصل الأيام القادمة ربما تتحسن وتتذكر سمر ابنتها وتعيش ليلى بالقرب منكما.

سلمى تهز رأسها وتمسح دموعها:

- حسناً أنا موافقة وسأصرف على علاجها ولن أتركها.. سأصحح الخطأ الذي فعلته بالمرأة دون قصد.. كنت أظن أن لها أبناء سيجبرون فقدان أختهم.. لم أكن أعلم أن ليلى هي ابنتها الوحيدة.

قالت ليلى:

وأنا أيضًا موافقة.. سأحاول الاتصال بالضابط وآخذ الأوراق اللازمة لأكون المسئولة الأولى عن سمر بحكم أني ابنتها.

قالت سلمى:

- لا تذهبي يا ليلى.. سنوكل محام في الدمام وهو من سيجلب سمر للعلاج.. إني أعرف الضابط سامي.. سيحاول أذيتي وفضح مالك بالصحف ووالدك لا يستحق مثل هذا الفعل المشين.. سيموت الرجل من فعلتي وفضيحتي التي ستكون محط أنظار العالم.. وربما يفقد عمله بالدولة.

قالت ليلى:

- لا يا أمي لن أفصح لسامي بأنكِ تعلمين.. سآخذ سمر دون أن نتواصل معه.

تعد ليلى لسفرها بعد أن اطمئنت على صحة سلمى وتماثلها للشفاء، وعند وصولها للدمام التقت بطبيب والدتها وطلبت منه أن تأخذ والدتها للخارج؛ للعلاج، أقدمت على استكمال أوراق السفر، عندها حضر سامي ليلتقي بها ويسألها لماذا غيرت رأيها عن المرة الماضية؟.. أخبرتهُ ليلى أنها فكرت وفكرت مراراً في المحاولة للعلاج وأنها لن تيأس أبداً من رحمة الله.

سامي بنظرات تعجب:

- وماذا ستخبرين عائلتك عندما يسألك السفير من تكون المرأة؟!

- والدي لا يسأل كثيراً فقد كان يساعد صافي وهو يعلم أني محبة للخير.. وهو أيضاً يحبُ مساعدة الآخرين.. أرجوك يا حضرة الضابط لا تزعجني.

رد سامي قائلًا:

- لم أزعجك قط.. فأنا أدلك على الطريق الصواب وآخذ حق والديك من تلك المرأة.

قالت ليلى بغضب:

- تلك المرأة هي أمي التي ربتني وعلمتني وحمتني بجسمها.. من يستحق العقاب هي تلك الخادمة الخاطفة للأطفال.

- سلمى من حرمتك عائلتك.. والدك تكبد عناء السفر والغربة من أجل العمل.. إنها امرأة أنانية لا تحب سوى نفسها.

قالت ليلى بضيق:

- لماذا تهاجم أمي هكذا؟.. فأنت لاتعرفها عن قرب.

- ليس بيدي الحكم على أخلاق الناس.. حكمي على أفعالهم وأنت حرة بما ستفعلينه بسمر.. وعندما يعود لها عقلها ستمزق سلمى بأسنانها.. سمر ليست ضعيفة ولكن الموقف الذي وقعت فيه جعلها لا تستوعب مدى خطورة البشر على بعضهم البعض وكم هم شرسون.

تحزن ليلى وتأخذ والدتها التي تحاول أن تقاومها، ولكن عندما رأت ليلى تبكي وهي ممسكة بيدها؛ مسحت دموعها بيديها وقالت:

- لا تبكي فأنتِ فتاة جميلة لا يليق بها الحزن.. سأذهب معك وآخذ ابنتي النائمة هناك.. انظري عندما تكبر سعاد الصغيرة ستشبهك كثيراً.

كان رعد يساعد ليلى بصمت قاتل، فقد تجرع ألم حزنها، خرجوا على عجل للمطار قبل أن تقلع الطائرة المغادرة، وعند وصولهم استقبلتهم سلمى لتلتقي بسمر في المطار وهي خجلة من فعلتها، تذكرت حينها عندما شاهدتها، رأتها بالحديقة، وكانت شابة صغيرة بعمرها، مفعمة

بالفرح والبشاشة، نظرت لحال المرأة كيف تبدل وأصبحت كأنها وردة جفت ويبست؟!.. حفرت التجاعيد خدي سمر، وشحبت عيناها من ترقب النافذة لدخول زوجها، أصابها الوهن والهزل، فتبدل الحال إلى أسوأ من المحال، مشت الهوينة تجر الخطى، نظرت ليلى لسلمى، تعرف لها والدتها:

- هذه سمر.. بقايا حطام امرأة فقدت ابنتها وزوجها وفي نفس اليوم فقدت عقلها.. كم تحتاج لتعود لوعيها وتعلم أن التي تمسك بذراعها هي ابنتها؟

صرخت بوجها سمر:

- ابنتي نائمة بأحضـــاني أرجوك اصـــمتي أيتها الفتاة الطيبة لا توقظيها. أجهشت سلمى بالبكاء وضمت سمر:

- أرجوك سامحيني .. لم اتعمد أذيتك هكذا.

وهي تضمها أحست سمر بشعور غريب منذ زمن بعيد لم تشعر بهذا فقالت:

- من أنتِ أيتُها السيدة؟.. ابتعدي عني فأنا لا أحب الغرباء.. لقد أذوني منذ زمن.. تجرعت ألم الغربة والابتعاد عن بلدي وعائلتي..

والغرباء أذوني وجعلوني فارغة من الداخل.. هذه ليست ابنتي.. أعلم أنها دمية ابنتي..

ولكن عقلي وقلبي لا يحتمل عدم رؤيتها.

ثم نظرت إلى ليلى وقالت:

- هل هذه الفتاة الطيبة ابنتكِ؟

هزت سلمى رأسها وهي تغص ببكائها:

- نعم.

- حافظي عليها فربما الأشرار سيختطفونها وتتألمين من فراقها.

أخذ رعد بيد سمر:

- اسمحي لي أيتها السيدة الجميلة بأن نكمل رحلتنا ونذهب إلى مكان أجمل بكثير.

مدت سمر يدها بخجل وكأن الإطار والمديح لامس مشاعرها أيضاً.

وصلت لمصحها النفسي، ودخل الجميع معها، نظر له لنظ

وقالت:

- لماذا أنا هنا؟.. أريد غرفتي وسريري إني أخاف قدوم زوجي

بدأ الطبيب يتحدث إليها بأنها ستعود قريباً، أوصته سلمى بالاهتمام والعناية بها وأنها ستعود لزيارتها قريباً، شعرت ليلى بالراحة لوجود والدتها بالقرب منها وأنها ستزورها بشكل يومي إلى أن تتعرف عليها ويعود عقلها.

***

عند دخولها للمحيط يلقي الحراس القبض عليها وتزج بالسجن كالذليلة، أمر النغار بأن ترسل لسمكة الباهموك العملاقة؛ **كي تحكم عليها**، النغار صديق لوالد سيدا ولا يريد أن يقسو عليها ويظلمها بالحكم عليها، ولكن الباهموك عادلة وستحكم عليها بالعدل.

تصرخ سيدا بوجهه:

- ألا تعلم من أكون؟.. **أنا أميرة المحيط الهادي.**

فالمرأة فقدت ابنتها ولا نعلم من تكون

قالت سلمى:

- سأعطيك أضعاف ما تأخذه في هذا المصح ولكن أرجوك لا تدعها تتذكر الماضي.. وإذا أتت ليلى للزيارة أخبرها بأن سمر لن تتحسن وستبقى على حالها.

قال الطبيب بتعجب:

- ماذا تقولين يا سيدة سلمى؟!.. **ألا تعلمين أن هذا مُنافٍ لي** كطبيب؟!..

أقسمت في تخرجي بأن أعالج المرضى ولا أسقمهم.

- **كانت المرأة في مستشفى بالدمام وكنت أدفع الأموال كي تبقى** مصابة بعقلها.. وهي بعيدة وفي بلدي أجد من يخدمني وأنا هنا في الغربة لا أجد من يستجيب!.. **ألا تعلم بأن زوجي هو سفير وصاحب نفوذ..** عندما أذهب وأشكوك إليه سيأمر بأن تفصل من عملك وتبقى بدون قيمة.

– لماذا يا سيدة باهموك الجميع يكرهني؟!.. وعندما أقترب منهم يبتعدون.. أنا خرجت للأرض وقتلت ليلى بفراشها وهيلز سيعود وسترين.

– من قتلت هي والدة ليلى.. وأنت ستقبعين في السجن، إلى أن يعود عقلك بمكانه وتبتعدي عن الانتقام فهو لا يولد بداخلك سوى الدمار لمن حولك.

تصرخ سيدا:

– لا تحبسيني أرجوك فمازلت فتاة شابة لا أريد أن يفوتني شيء بهذه الحياة.

قالت الباهموك:

– خذها أيها الحارس وكبلها داخل سجنها ولا تفتح الأصفاد سوى لتناول الطعام.

جنت سيدا على نفسها بما فعلت من جرائم وتخريب للمحيط، وبهذا سيرتاح الجميع من شرها.

تزور سلمى المصحة وقبل دخولها كانت ليلى تجلس مع الطبيب؛ لتطمئن على مراحل وخطة علاج سمر المطولة، عندما رأت من بعيد سلمى وهي تمشي في الممر وكانت تقف لبرهة أمام نافذة سمر تنظر لها من بعيد.

أخبرت ليلى الطبيب بأنها ستختَبىء خلف الساتر الطبي؛ لكي لا تراها سلمى، فهي لا تريد جرح مشاعرها باهتمامها وزيارتها لسمر، هز الطبيب رأسه:

- تفضلي ليلى وسألتقيك بعد ذهابها.

دخلت سلمى وألقت التحية على الطبيب، وعند سؤالها عن سمر وحالها، أخبرها الطبيب ياسر بأن المريضة تتماثل للشفاء ودائماً تسأل عن ليلى وموعد زيارتها، اغتاظت سلمى وبنبرة حادة:

- وماذا تريد من ابنتي تلك المجنونة؟

تعجب الطبيب من امتعاض وجهها وحدة نبرة صوتها:

- وما دراني يا سيدة سلمى؟!..

أنين

قالت ليلى بحزن:

- التهمتني سلمى دون أن تفكر بتبعات أعمالها.. سأودعك الآن يا سيدي وسأعود لاحقًا لرؤيتك.

- في حفظ الله يا ابنتي وأنتَ يا هيلز عامل الفتاة بطيبة ولا تحزنها.

رد هيلز:

- لن تحزن أبدًا فليلى هي نبض هذا القلب.

تنظر بخجل:

- وأنتَ أيضًا.

تسبح ليلى بسعادة وكأنها نسيت همومها فوق الأرض، تذكرت قساوة الأرض وصلابتها، وكيف نالها نصيب من هذه القسوة؛ فآثرت البقاء وفضلت الرحيل لعالم لا تنتمي إليه، ولكن جذبت بصفاء الماء ونقائه، وأحست بتناغم بينهما فالقسوة لا تليق بالفتيات؛ هن كالزجاج تشطب بكلمة أو بموقف فتجرح.

***

قال الطبيب بضيق من كلامها وحزن على السيدة المريضة:

- يا سيدتي المريضة لن تشفى بأسرع ما يكون فالأدوية التي كانت تأخذها قد أتلفت بعض خلايا المخ وتأثرت قليلاً والمرأة قوية بصمودها طُوال السنوات الماضية.

قالت سلمى بتهديد:

- سأخرجها من هنا وسأذهب بها لمصحةٍ أفضل وستخسر عملك هذا وعد مني.

تخرج سلمى غاضبة وتغلق الباب خلفها بقوة كبيرة، أبعدالستار الطبي، وينظر الطبيب لليلى ويجدها تضع يديها وتجهش بالبكاء الصامت الغاص بداخل قلبها، وقد اعتصرت ألمًا لما سمعت، سألها ياسر:

- ماذا أفعل؟.. ستؤذي السيدة سمر.

اعتدلت ليلى ومسحت دموعها وهي ترفع رأسها:

- لن أكون ضعيفة كالسابق وأجعل مشاعري تهزمني أمامها.. لن أدعها تحطم سمر وتقضي عليها فهي والدتي التي أنجبتني وما هي عليه بسبب تلك السلمى التي تدعي الكمال أمام الجميع.. أكمل ما بدأتهُ أيها

الطبيب ياسر وأنا سأجد طريقة لأخلص والدتي من بين يديها وأهرب بها.

تهاتف رعد وتطلب أن تلتقي به على عجل، يتفض بسرعة:

- هل حصل لكِ مكروه؟

تطمئنه قائلة:

- لم يحدث شيء.

وعندما التقت رعد قصت عليه ما سمعت بأذناها، وأنها تخاف على والدتها من سلمى، ولا تجد حل سوى أن تخبر مالك وتكشف لهُ زوجته، ينهرها رعد:

- وما ذنب إخوتك؟.. **عندما أحببتك لم تكوني لتنتقمي من عمر وجلفار وسيدا.. كنت تلتمسي لهم الأعذار وتتجاوزي عنهم.. وتعاملي الناس بأخلاقك العالية وليس بأخلاقهم السيئة.. فرد الإساءة بإحسان يجعل من المسيء يخجل من فعلته وربما بهذه المعاملة يتغير للأفضل.**

- **ما علينا هو إبعاد سمر ووضعها بمصح آخر بمساعدة ياسر.**

قال رعد:

- دعي الأمر لي وسـأحلهُ في الحال وإذا احتاج للمال فهو موجود والحمد لله.. وأنت أخبري عائلتك بأن هناك رجل وسـيم وجذاب يحبك.. وسـيخطبك ويرتبط بك.. ومن هنا سـنحل أمر الابتعاد عن سلمى.

ليلى سارحة وتفكر:

- لا لن أفعل هذا وأتزوج.

سألها رعد في تعجب:

- ولماذا لن تتزوج؟!.. ألا تحبين الارتباط بي؟

تخرج مسرعة:

- ستتحدث في هذا الأمر قريباً ولن أتزوج رجل آخر.

تتحدث ليلى مع الضابط سامي وتخبره بما حدث، وأنها تريد أن تعيد والدتها للملكة العربية السعودية فهي بلد الاطمئنان بالنسبة لوالدتها. سامي يعدها بأنهُ سيغير المستشفى القديم وسيحاسب من كان يتواطأ مع سلمى، وسيقدم تقارير مفادها جريمة بشعة حصلت واستمرت لأكثر من عشرين عاما بحق سمر وابنتها.

– سأقدم سلمى للعدالة حال وطىء قدماها أرض المطار.. ستساق للتحقيق والسجن.. لا تخبريها بانكشاف أمرها.

– إني أنتظرك بفارغ صبري يا حضـــرة الضابط.. وسأكمل أوراق سفرها بالحال.

وبدأت ليلى تراسل مصحات نفسية في المملكة، وتحاول أن يكون وجود والدتها سراً رغم معرفتها أن سلمى لن تصل لها، ولكن قلب الابنه تفطر على ألم والدتها، بعثت بالأوراق، وجهزت أمور سفر والدتها بسرية وترقب، وعند حضور سامي وضعت ليلى سمر أمانة لديه، وبأن يهتم بها فربما لن تعود لرؤيتها مجدداً، تعجب سامي من أمرها وكأنها ستغادر هي الأخرى لوجةً غير معلنة، كانت ليلى تجيب بالألغاز ولاتريد أفصاح أمرها لأحد، وبعد توديعها لسمر في أرض المطار ضمتها سمر وإحساس الأمومة يتدفق من داخلها:

– أين أذهب يا ابنتي العزيزة؟!.. هل سأراكِ لاحقاً؟

أجابتها ليلى بصوت مختنق بغصات الفراق:

– ربما سأزورك وأنت بأفضل حال.. فانا يا أمي...

لمعت عينا سمر من الفرحة وهي تسمع كلمة "أمي"، أكملت ليلى حديثها:

- سأسافر للدراسة ثم العودة للعمل بجانبك.

- سمعتك تقولين أمي.. هل فقدت والدتك أنت أيضًا؟

تجهَش ليلى بالبكاء:

- نعم فقدتها بعمر الثلاث سنوات.. خيمت غيمة سوداء على سماء الحديقة وانتشلني كائن بمخالبه وأدمى جسمي وأبعدني عنها.. فقدت إحساس الأم الصادق ودعواتها.. فأمسيت مكملة لصورة عائلة ليست عائلتي.. لم أختر أن أكون ابنتهم.. وعند غياب ابنتهم أكملوا فراغ ابنتهم بغيرها.. غير مكترثين لحالها.. ربما سيأتي يوم ونجتمع.. فلا نعلم ما تخبئ الأقدار.

تودع سامي ويرحلون أمامها وهي تذرف دموعها؛ لألم سمر الذي استمر لسنوات، وضاع شباب المرأة وهي تتناول أدوية خاطئة؛ كي تنعم سلمى بالاستقرار، عندما التفت ليلى للوراء وجدت رعد ينتظرها:

- ما هي خطتك القادمة بعد أن وضعت والدتك بأمان؟

أجابته ليلى قائلة:

- دعنا نعود الآن للمنزل وسأخبرك لاحقًا

وبعد أن عادت ليلى وجدت سلمى قلقة، لمنذ الفجر دعاتا وإياها، وعندما رأت ليلى هُرِعت إليها تنهمر من عيناها دموع التماسيح، وتخبرها بأن والدتها فُقِدت من المصحة والجميع بحالة استنفار وتصرخ غاضبة بأنها ستعاقب الطبيب ياسر وستجعله يدفع ثمن إهماله، اقتربت منها ليلى:

- لا تقلقي فوالدتي بخير الآن وهي بمأمن منك.

تجحظ عيناها غضبًا:

- وهل أنا مؤذية لها يا ابنتي؟

يلكزها رعد بأن تصمت أو تحد من غضبها.

- لا أقصد هذا.. ولكن سمر لم تكن مرتاحة بالابتعاد عن مكان فقدان ابنتها وزوجها وأنا أعدتها.

قالت سلمى بخُبث:

- أخبريني يا ليلى أريد الاطمئنان عليها.. أين هي تلك المصحة؟

ردت ليلى:

- سأخبرك قريباً.. أريد أن تجتمع العائلة سأخبركم بمفاجأة جميلة جدًا.

- ما هي مفاجأتك يا عزيزتي؟

اقترب رعد:

- أريد أن أخطبها من والدها.. كنتُ أنتظر أن تتماثلي للشفاء وها أنت بأفضل حال.

قالت سلمى بفرحة:

- أنهُ أجمل يوم في حياتي يا بني.. كما تعلم ليلى ابنتي الوحيدة وستكون الفرحة كبيرة بزواجها بالرجل الذي أحبته.. سأنتظركم.

عادت ليلى وجلست بزاوية في مكتبها تكتب رسالة لوالدها مالك، اقترب رعد فأقفلت ليلى رسالتها، سألها في استغراب:

- ماذا تكتبين؟!

@ART_OF_BOOK

ردت في حزن:

- أريد أن أودع والدي برسالة.

قال رعد محاولا منعها:

- أرجوكِ يا ليلى لا تهدمي منزل مالك فهو لا يستحق إيذاء زوجته لهُ ولأبنائها.

- لن أؤذي إخوتي ما حييت فليس لهم ذنب بسوء والدتهم.. فنحن لا نحمل أوزار من سبقونا.

أقفلت ليلى رسالتها ووضعتها على مكتب والدها بين مجموعة من الأوراق، وكتبت على خارج المظروف..

"ابنتك ليلى".

وفي المساء اجتمعت العائلة، وبدأ رعد يرتجف لأول مرة الموقف مهيب، وعشرات المرات تشرح لهُ ليلى كيف يجلس ويتحدث بأمر خطبتها، وأن البشر لهم عادات وتقاليد تسبق الارتباط.

ضحك وليد وبدأ يكمل ما بدأه رعد، وفي آخر الأمر وعده مالك خيرا، وبأن رأي ليلى هو الأول والأخير فهي صاحبة القرار، وما يتبقى أمورٌ بسيطةٌ.

صعد مالك لغرفة ليلى؛ ليخبرها بأن هناك خاطب يريد الزواج بها، بنظرات حزن وكأنها تودعه:

- إني أقبل يا والدي فرعد شاب طموح وهو حلم لكل فتاة.

مالك يمسحُ على رأسها ويدعو لها بالتوفيق والسعادة، تلمع بداخل عيناه دمعة ويخبرها:

-هل أعتبرها دموع الفرح لفراقنا أو هي للارتباط بمن تحبين؟

- يا والدي فرحة الارتباط لا تخرج على هيئة دموع كما تظن.. يصعب على فراقكم بعد الزواج.. سأبتعد عن أجواء منزلنا ودِفء الأخوة.

قال مالك بحب وحنين:

- لن أسمح لك بالابتعاد فأنت قطعة من هذا القلب.

يشير بسبابته لقلبه، ثم أكمل كلامه:

- وأنتِ لُب روحه.. أتعلمين عندما أخبروني بفقدانك داخل البحر تمنيت أن أفقد بصري ولا أفقدك.. لا تعلمين أنكِ عيناي التي أرى بهما.

استصعبت ليلى كلمات والدها؛ وأجهشت بالبكاء، فقال الأب:

- يبدو أنني أحسست بالغيرة وأحاول استمالتك للبقاء.. لا أرى نفسي سوى ذلك الأب الأناني.. سأخبر رعد بقرارك.

دست رأسها في وسادتها تبكي وهي تقول:

- ما ذنبي كي أعيش هذا الألم وأعاني الفراق لعائلتي.

نظرت في المرآه تُحدثُ نفسها:

- كل ما أصابنا بسبب أنانية سلمى.. دمرت والدتي وها هي تريد أن تجهز عليها بضربتها القاضية.

وبعد عدة أسابيع تم الزواج، كانت سلمى وزوجها سعيدان بالتحضير لهذه المناسبة السعيدة، ليلى تريد الخروج والابتعاد عن منزل عائلتها، سألتهما ريم:

- هل ستقضون شهر العسل هنا أم تنوين السفر يا ليلى؟

أجابها رعد:

- نريد السفر خارج البلاد.

ظن الجميع بأن الصمت الذي يلف ليلى هو خجل كل عروس في ليلة عرسها، ولكن ليلى تنظر لهم وهي تودعهم بنظرات حزينة.

وصلت هي ورعد للشاطىء وكانت أم السعالف تستقبلهما بقاربها، نظرت لرعد وليلى وهي تخبرهما بأنهما لن يعودا كما كانا.. فالقرار بالتراجع سيفيدهما الآن.. نظرت ليلى لرعد وهزت رأسها:

- لن أعود للأرض.. سأكمل حياتي داخل البحر مع من أحب.

وهي تشُد بقبضة يدها على رعد وتنظر لعيناه.

- أريد تذكيرك بسمر والدتك.. لربما عادت لعقلها وأرادت رؤيتك.

قالت ليلى بحزن:

- لن تبحث عني.. أخبرني الطبيب ياسر بأن صحتها لن تعود كما كانت فسنوات تناولها للأدوية أتلف بعض أعصابها العقلية.. وهذا ما جعلني أهرب من سلمى.. لا أستطيع رؤيتها امامي تعيش في سعادة وعافية وغيرها يتألم من الفراق والحاجة.. هل أعجبت يا هيلز بحياة الأرض ونعيمها؟!

رد هيلز مجيبا:

- المكان الذي أعجب به هو بجانبك أينما تكونين.. سأدعو لعائلتك بأن يستطيعوا أن يحتملوا فراقك.. كم هو صعب ومؤلم عدم وجودك.. اسألي من جرب هذا الفراق.

تقطع أم السعالف حديثهما:

- أيها الأولاد هيا فلم يتبقَ على الفجر الكثير.. يجب أن أنهي عملي قبل بزوغ الضوء.

تصعد ليلى ويتبعها زوجها، وينطلق القارب إلى وسط المحيط حيث تنتظر جلفار وصول ليلى وهيلز بسعادة، كانت جلفار تلف وتدور حول نفسها وكأنها تؤدي رقصة على ضوء القمر، فقالت أم السعالف:

- أصيبت جلفار في عقلها.. لماذا ترقص هكذا؟

قالت ليلى وهي تبتسم لها:

- دعيها.. إنها تعبر عن سعادتها بعودتنا لعالمها.. أخبرتني مسبقاً بأني سأعود من أجل حبي لهيلز وعدم قدرتي على فراقه.. وها أنا أعود لكي أفارق عائلتي التي غامرت من اجل العودة مسبقا لهم.. يا الله كيف لها أن ينقلب ميزانها؟!

تمد أم السعالف قنينة سحرها وتخبر ليلى:

- الآن ستصبحين حورية ذات جسد جميل وهيلز سيعود خيلان كما في السابق وبشع أيضاً.

ينظر لها هيلز بتعجب:

- ماذا تقولين؟!.. لماذا هذه البشاعة؟!

تضحك ليلى بقهقهة وهي تخبرة:

- وأنت بشع سأتزوج بك لا تخف.

قالت أم السعالف وهي تضحك:

- إني أمازحكما يا أبنائي فهذه الحياة هي البشعة وليست قلوبكم الجميلة.. لاأخفيكم لقد كرهت هذا العمل وما يحملهُ من أضرار للبشر.

تودعها ليلى وهي تضمها:

- إلى اللقاء يا زينب لا أريد أن تعودي شريرة.. لقد رأيتِ كيف آذت سلمى والدتي واستمر ظلمها لسنوات.

وصلت ليلى وارتمت بأحضانِه، ولف أحد أذرعه الثمانية حولها يضمها؛

- لا تبكي يا ابنتي فالحياة ليست ذلك الطبق الذهبي الذي يهدينا السعادة.. كنت أعلم أنهُ بسقوطك ورائك قصة.. إنها الأقدار تحاك دون علمنا.. علم الله أن ليس لكِ طاقة تحمل تلك الأم فأبعدك عنها.. ولا تستطيعي الانتقام فأنت ابنة سمر.. السيدة التي فضلت الهزيمة على مواجهة ألمها وظروفها الصعبة.

قالت ليلى وهي تبكي:

- والدتي كانت تحت تأثير أدوية الأطباء فربما لو بقيت دون دواء لنهضت وبحثت عن ابنتها.

- أتعلمين يا ابنتي أني لم أتزوج!..

السبب هو خوفي من الهزيمة والضعف.

يقترب هيلز قائلًا:

- وما دخل الهزيمة بالزواج؟

- عندما يكون لك أبناء تخاف وتضعف أمامهم من فقدهم ومن أين يأتيهم أذى أو يلتهمهم سمك القرش أمامك.

زُمردة تُرتب مكتب مالك، سقطَ ظرف مكتوب عليه من ليلى، أخذتهُ وهرعت لسيدتها سلمى:

- انظري إنهُ مكتوب من ليلى لقد أرسلت تطمئنكم وأنتم تبحثون عنها في كل مكان.

أخذت سلمى المكتوب، ودخلت غرفتها وبدأت تقرأ بعجل، حينها علمت بأن ابنتها لن تعود؛ صرخت صرخة مدوية هزت أركان قصرها المرتفعة أسقفه وسقطت أرضًا، ثم مَرِضَت سلمى وفقدت حاسة النطق بعد اصابتها بجلطة دماغيه، فلم تستطع الإجابة على أسئلة مالك، وماذا تقصد ليلى بمكتوبها؟!.. وبعدها يَأست من عودة ليلى حتى توفيت بحزنها، خيم على ذلك القصر الحزن والكآبة لعدم قدرتهم على عودة البهجة، قرر مالك العودة لأرض الوطن؛ كي ينعم بقرب والديه، خاف فراقهما، وأيضًا أحس بنعمة الوالدان، وأن الوحدة تنهش جدار منزلهما بعد أن تزوج وقرر الاغتراب بعيدًا.. وعاد كما كان.